وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف المسيلة

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:
رقم التسجيل: 13/MD12/105

القيم الإنسانية في رواية "ريح الجنوب "
"لعبد الحميد بن هدوقة "

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

الميدان: اللغة والأدب عربي فرع : أدب عربي تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبة:
- حفصي مليكة

إشراف الدكتور:
- مهدي عمار

تاريخ المناقشة:

أمام لجنة المناقشة:

-

-

-

السنة الجامعية: 2015/2014م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أتقدم بقلب شاكر ونفس خاضعة

لله تعالى الذي أنعم عليّا بالتوفيق لإتمام هذه المذكرة.

وتطبيقا لقوله صلى الله عليه وسلم:

﴿من لم يشكر الناس لم يشكر الله ومن أسدى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تستطيعوا فادعوا له﴾

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف "مهدي عمار" الذي أكن له كل معاني الاحترام والتقدير والشكر والعرفان، وأتمنى له التوفيق في مشواره المهني واشكره على مساندته لي طوال العام الدراسي، فلم يبخل عليّا بنصائحه وتوجيهاته فكان نعم الأستاذ.

وكذا عمال **مكتبة البيان**

وإلى كل ما ساعدني من بعيد أو قريب في إنجاز هذا العمل وخاصة خليفة وإلى كل الأصدقاء والإخوة

مليكة

مقدمة

إن الأعمال الإنسانية هي كل الأعمال التي ترتبط بالإنسان إن تمسه من قريب أو بعيد وتمكنه من الاستمرار في الوجود في إطار يتماشى ووضعيته ومهمته التي أنيط بها، وبما أن الأدب صيغة إنسانية تبحث في طبيعة سلوك الإنسان، باعتباره قيمة ثابة والمكلف في الأرض حاملا معه قيما متعددة ومتنازعة فيما بينها يرجو منها المحمود ويتجاهل المنبوذ، فإنه ليس لأحد أن ينكر أن القيم هي مجال الأدب بامتياز، وأنها ثمرة من ثمرات تفاعل الأديب مع واقعه النفسي والاجتماعي والثقافي.

ولقد تجلت براعة عبد الحميد بن هدوقة الإبداعية باتفاق أغلب النقاد والمتتبعين للمشهد الأدبي الجزائري بدرجة كبيرة في نصوصه الروائية المفعمة بخليط من القضايا الإنسانية المصيرة وبالعديد من الاشاكالات المحورية في حياة الفرد الجزائري، وتجسدت براعته أكثر في رواياته وبالأخص "ريح الجنوب" التي لطالما كانت محل اهتمامي بما أثارته في نفسي وحركته في ذهني من التباس وتساؤل وهو ما دفعني-والحال هذه- إلى مقاربتها علميا ضمن هذا البحث الذي وسمته ب: القيم الإنسانية في رواية ريح الجنوب.

انطلاقا من إشكالية محورية تتمثل فيما يلي: ما حقيقة القيم التي تتجلى في الرواية؟

وما مدى احتوائها لها ؟

ويعود اختياري لهذا الموضوع لأسباب عدة منها:

-كون القيم الإنسانية موضوع جديد بالدراسة لما له علاقة بالبشر وارتباط بقضاياهم في مختلف الأماكن وعلى مر الأزمان.

- غناء الأدب الإنساني بالقيم الفضيلة والتي هي مطلب البشرية جمعاء المنظمة لحياة الفرد محددة تعاملاته مع أخيه الإنسان.

- فضلا عن محدودية الدراسات في الحقل الروائي للإبداع الأدبي الجزائري.

ولقد وقع اختياري على رواية "ريح الجنوب" لتكون محلا للدراسة والتحليل بناءا على: كون تجربتها الروائية تجربة نموذجية متفردة عن سائر التجارب الروائية في الحقل الروائي وتميزها بالنضج والاكتمال الفني على الرغم من حداثة النشأة.

والهدف المرجو من هذه الدراسة تقديم نظرة متواضعة عن أدب بن هدوقة واستخراج القيم الممكنة من الرواية المقترحة للدراسة مبرزا الأبعاد الإنسانية المميزة لأعماله.

وقد استدعيت في هده الدراسة للإجابة عن التساؤلات المطروحة بإلحاح وقوة المنهج الوصفي بالاضافة الى المنهج التاريخي فيما يتعلق بقضايا الأدب الجزائري الذي تتبعت فيه مسار الأدب انطلاقا من أحداث تاريخية

اما فيما يخص الوصف قمت بوصف تلك القيم المجسدة في الرواية ثم تحليلها وإبراز الأبعاد التي أراد بن هدوقة الخروج بها.

واعتمدت في هذه الدراسة على خطة بحث ارتئيت إلى تقسيمها على النحو الآتي:

مقدمة ثم مدخل وفصلين وخاتمة أتبعتها بقائمة المصادر والمراجع وملحقين. فجاء بذلك المدخل كتمهيد تناولت من خلاله بعض النقاط المتعلقة بالرواية الجزائرية نشأتها وعوامل تأخرها.

أما الفصل الأول الذي كان تحت عنوان: قضايا الأدب الجزائري فقد تطرقت فيه إلى ثلاث عناصر الأول اختص بالقضايا السياسية والثاني احتضن القضايا الاجتماعية أما الثالث فقد كان مساحة تناولت فيه القضايا الثقافية.

وفيما يخص الفصل الثاني من البحث فقد تطرقت فيه إلى تناول الأبعاد الإنسانية في الرواية والذي ينقسم بدوره إلى ثلاث نقاط، الأول تناولت فيه مفهوم البعد الإنساني أما الثاني أشرت فيه إلى علاقة النزعة الإنسانية بالأدب وما يتبعها من قيم أما العنصر الأخير فكان تحت عنوان: تعدد الأبعاد في الرواية.

لأنتهي في الأخير بخاتمة هذا البحث التي ضمت أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة وقد اعتمدت في هذه الدراسة على مصدر واحد تمثل في الرواية التي كانت محل دراستي وعلى مجموعة من المراجع التي تنوعت اتجاهاتها لعل من أهمها:

-عبد المالك مرتاص: فنون النثر الأدبي الجزائري.

-الوناس شعباني: تطور الشعر الجزائري.

- صالح مفقوة: المرأة في الرواية الجزائرية

-نجم عبد الله كاضم: مقالات في النقد والأدب والظاهرة الأدبية.

ولقد واجهت في إعداد هذا البحث جملة من الصعوبات:

أولها كون هذا الموضوع لم يتناول من طرف الدراسين لذا وجدت صعوبة في الغوص بين أحضانه، قلة المراجع التي تناول هذا الموضوع فضلا عن ضيق الوقت.

وتحضرني في نهاية هذه المقدمة مقولة رائعة قالها عماد الدين الأصفهاني يبين نقص الإنسان واستحالة بلوغه التمام والكمال في العلم مهما أوتي من بصيرة وعقل فيقول: "إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاب في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر ودليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

وفي الأخير أتقدم بخالص شكري وعرفاني إلى الأستاذ المشرف" مهدي عمار" الذي كان خير معين لي في هذا البحث، ولم يبخل علي بقراءاته وتوجيهاته ومتابعاته، كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل الأساتذة الذين سهروا على نجاح دفعة الماستر(2014-2015) شعبة الأدب الجزائري.

مدخل: إلى الرواية الجزائرية

1/ مفهوم الرواية:

أ/ لغة

ب/ اصطلاحا

2/ نشأة الرواية الجزائرية وتطورها

3/ عوامل تأخرها.

1- مفهوم الرواية:

أ- لغة:

حين نعود إلى القواميس العربية لتحديد مفهوم الرواية نجد أن هذه اللفظة تدل على التفكير في الأمر، وتدل على نقل الماء وأخذه ،كما تدل على نقل الخبر واستظهاره، ورد في لسان العرب عن ابن سيدة في معتل "الياء" روي من الماء بالكسر ومن اللبن يروي ريا ... ويقال للناقة الغزيرة تروي الصبي لأنه ينام أول الليل، والرجل المستقي أيضا راوية ... ويقال روى فلان فلانا شعرا إذا رواه له متى حفظه للرواية عنه[1].

فقد جاء في كتاب الصحاح للجوهري رويت الحديث والشعر رواية فأناراو في الماء والشعر من قوم رواة، ورويته الشعر ترويه أي حملته على روايته، وأرويته أيضا، ونقول: أنشد القصيدة يا هذا، ولا تقل أروها إلا أن تأمره بروايتها أي باستظهارها.[2]

وعليه نلاحظ أن المدلولات المشتركة للرواية تفيد في مجموعها عملية الانتقال والجريان والارتواء المادي "الماء" أو الروحي "النصوص والأخبار" وكلا النوعين كان ذا أهمية في حياة العربي، فلقد كان الماء هدفهم المنشود من أجلهم يحلون ويرتحلون، وكانت رواية الشعر الضرورة اللازمة لكل شاعر، كما كانت الرواية الوسيلة الأولى لحفظ الأشعار والأخبار والسير، غير أن دلالة كلمة الرواية على هذه المعاني لا يكاد يفيدنا في شيء لأننا بصدد الحديث عن جنس أدبي حديث.

ب- اصطلاحا:

بالقدر الذي تبدو فيه الرواية معروفة، فإن تعريفها ليس بالأمر الهين نظرا لحداثتها ولتطورها المستمر، وهنا ممكن الصعوبة، وإلى ذلك أشار "عبد الملك مرتاض" قائلا: والحق أننا بدون خجل ولا تردد بنا إلى الرد عن السؤال بعدم القدرة على الإجابة والسؤال الذي يعنيه مرتاض هو ما هي الرواية؟[3].

فتحديد مصطلح رواية يعتبر في الواقع على غاية من الصعوبة، حيث تتخذ الرواية لنفسها ألف وجه، وترتدي في هيئتها ألف رداء، ولا أدل على هذه الصعوبة من أن القواميس والموسوعات الأدبية نفسها تلجأ

1- ابن منظور: لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ج14، ص425.

2- عزيزة مريدن: القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1971، ص14.

3- صالح مفقودة: أبحاث في الرواية العربية، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، ص08.

عند تحديدها لمفهوم "رواية" إلى استعراض مفهومات متعددة كل منها يعود إلى فترة تاريخية معينة، ((ذلك أنه في كل عصر تأخذ الرواية صورة مميزة وتكتسب خصائص تجعلها غير مطابقة لخصائص الرواية في عصر سابق، وهكذا ففي العصور القديمة كانت الملحمة في الرواية، وفي القرون الوسطى كانت القصة الطويلة الخرافية ذات الطابع الفروسي هي الرواية وفي بداية القرن التاسع عشر كانت القصة الطويلة الرومانسية في الرواية ومع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت القصة الطويلة الواقعية هي الرواية)) [1].

فالرواية متفردة بذاتها، فهي طويلة الحجم ولكن ليس في طول الملحمة غالبا وهي غنية بالعمل اللغوي، ولكن يمكن لهذه اللغة أن تكون وسطا بين اللغة الشعرية التي هي لغة الملحمة، واللغة السوقية التي هي لغة المسرحية المعاصرة وهي تقوم ((على التنوع والكثرة في الشخصيات فتقترب من الملحمة دون أن تكونها بالفعل حيث الشخصيات في الملحمة أبطال وفي الرواية كائنات عادية وهي تتميز بالتعامل اللطيف مع الزمان والحيز والحدث، فهي إذن تختلف عن كل الأجناس الأدبية الأخرى ولكن دون أن تبتعد عنها كل البعد حيث تظل مضطربة في فلكها وضاربة في مضطرباتها)) [2].

وهكذا فالرواية تتخذ في كل عصر مضمونا وخصائص فنية جديدة، ولذلك نستطيع القول بأن الرواية هي ما يدرسه أغلب النقاد في عصر من العصور على أنه رواية.

وما نلحظه من خلال التعريفين السابقين أن الميزة الوحيدة التي تشترك فيها جميع أنواع الروايات هي كونها قصص طويلة غير أن تحديد الطول يبقى نسبي وفي اعتقادي لا يمكن أن نأخذه بعين الاعتبار كمقياس لإدماج مؤلف قصصي ما ضمن جنس الرواية.

بالرغم من صعوبة تعريف الرواية، فإن ذلك لا يعفينا من البحث عن مفهومها ،واستعراض بعض التعاريف التي أوردها الدارسون، لأنه يعسر علينا تعريفها تعريفا جامعا مانعا ذلك لأننا نلفي الرواية نشترك مع الأجناس الأخرى في الكثير من الخصائص.

فإذا عدنا إلى القواميس الأدبية فأننا نجد **"فتحي إبراهيم"** في كتابه **"معجم المصطلحات الأدبية"** أن الرواية "سرد قصصي نثري يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد والرواية

1- حميد لحميداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي(دراسة بنيوية تكوينية)، دار الثقافة، دار البيضاء،المغرب، ط1، 1985، ص37.
2- عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة ، الكويت،1990، ص13.

شكل أدبي جديد لم تعرفه العصور الكلاسيكية والوسطى نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبيعة البرجوازية وما صاحبها من تحرر الفرد من رقه التبعيات الشخصية"[1].

لقد تضمن هذا التعريف جملة من المصطلحات والتقنيات الروائية التي تستحق التوضيح والدراسة وتصلح مواضيع لبحوث أخرى مثل السرد والشخصيات والأفعال فهو تعريف واسع وقد أهمل تحديد الرواية بعدم ذكر حجمها وأنواعها وتطورها، واكتفى بربط ظهور الرواية بنشوء الطبقة البرجوازية التي حررت الفرد.

أما "**سعيد علوش**" في كتابه "**معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**" نجده يورد التعريفات الآتية:

- الرواية نمط سردي يرسم بحثا إشكاليا بقيم حقيقية لعالم متقهقر في تنظيم "**لوكاتش**" "**وغولدمان**".
- الرواية هي الطابع المشابه عند "**كرسيتفا**" في عملها عن (نص الرواية) حيث أن وحدة العالم ليست حدثا بل هدفا يقتحمه عنصر دينامي[2].

إن التعريفات التي أوردها "**سعيد علوش**" عن الرواية نلحظ أنها تعتمد في مجموعها على آراء "**جورج لوكاتش**" و"**غولدمان**" و "**كريستيفا**" فهي خلاصة لآرائهم حول الرواية وبذلك فإن هذا المعجم لم يقدم تعريفا شاملا ومحددا للرواية.

ونجد "**سعيد الورقي**" يرى بأن الرواية هي تشكيل للحياة في بناء عضوي يتفق وروح الحياة ذاتها، ويعتمد هذا التشكيل على الحدث النامي الذي يشكل داخل إطار وجهة نظر الروائي، وذلك من خلال شخصيات متفاعلة مع الأحداث والوسط الذي تدور فيه[3].

ويعرفها "**ميخائيل باختين**" بأنها رواية كاملة شاملة موضوعية أو ذاتية تستعير معيارها من بنية المجتمع، وتفسح مكانا لتتعايش فيها الأنواع والأساليب كما يتضمن المجتمع الجماعات والطبقات المتعارضة جدا[4].

من خلال هذا التعريف نرى أن الرواية تتميز بما يلي:

أ- الكلية والشمولية في تناول الموضوعات.

ب- قد تكون الرواية ذاتية أو موضوعية.

1- فتحي إبراهيم: معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفاقص، الجمهورية التونسية ،1988،ع1، ص172.

2- سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985، ص60.

3- سعيد الورقي: اتجاهات الرواية العربية، دار المعرفة الجاملية، مصر، 1997، ص05.

4- صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، جامعة محمد خيضر بسكرة، ط2، 2009، ص39.

ج- ترتبط الرواية بالمجتمع وتقييم معمارها على أساسه.

د- تفسح المجال لتجاوز المتناقضات كما هو موجود في المجتمع.

أما "**محمد كامل الخطيب**" فيقول ((إن فرصة الكتابة نثرا يتيح مجالا أوسع للتعبير عن الحياة، وواقع المجتمعات لأنها تعمل على تقريب المتخيل من الواقع، كما تمنح للراوي حرية أكبر لأنه يبتعد عن قيود الشعر))[1].

ما نفهمه من هذا التعريف أن "**محمد كامل الخطيب**" يعد فن الرواية من الفنون النثرية باعتبار الكتابة النثرية أقرب إلى مخيلة الروي للتعبير عن واقع المجتمع لأنها غير مقيدة بوزن أو قافية على خلاف الشعر.

فالرواية إذا عالم شديد التعقيد متناهي التركيب متداخل الأصول إنها شكل أدبي جميل ((اللغة هي مادته الأولى، كمادة كل جنس أدبي آخر في حقيقة الأمر والخيال هو الماء الكريم الذي يسقى هذه اللغة فتسمو وتربو وتهرع وتخصب، والتقنيات لا تعدو كونها أدوات لعجن هذه اللغة المشبعة بالخيال ثم تشكيلها على نحو معين))[2].

وهكذا فقد تعددت مفاهيم الرواية في المعاجم اللغوية كما تنوعت من أديب لآخر وتبقى في كل الحالات تجربة إنسانية عليها ما على كل الأعمال الأدبية الأخرى.

2- نشأة الرواية الجزائرية وتطورها:

إن الرواية الجزائرية الحديثة النشأة غير مفصولة عن حداثة نشأتها في الوطن العربي كله، مشرقه ومغربه التي ترجع إلى مطلع القرن التاسع عشر الميلادي ((وقد كانت مصر رائدة في هذا الميدان حيث استطاعت أن تنتبه إلى هذا الفن الجديد ثم نبهت إلى ضرورة خلق مثله في مصر وفي العالم العربي))[3].

فهي نشأة نختلف جذورها من قطر عربي إلى آخر من دون أن نسهو عن جذورها المشتركة عربيا:

أولا: في صيغ القص في القرآن الكريم والسيرة النبوية.

ثانيا: في البذور القصصية الأولى في مقامات "**الهمذاني**": (358-398هـ/969-1007م) و"الحريري": (446-556هـ/1054-1222م) التي ترجمت إلى عدة لغات مثل الانجليزية والفرنسية والألمانية فضلا عن الفارسية والتركية[4].

1- محمد كامل الخطيب: الرواية والواقع، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1981، ص107.

2- عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، ص27.

3- سعيد الورقي: إتجاهات الرواية العربية، ص15.

4- عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث (تاريخا، أنواعا وقضايا وأعلاما)، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، ط5، 1995، ص195.

كما لم تأت هذه النشأة بمعزل عن تأثير الرواية الأوربية، فهي ذات تقاليد فنية وفكرية في حضاراتها، كما أنها ذات صلة تأثرية ما بهذا الفن، كما عرفته (أوربا) في العصر الحديث، خصوصًا بعد شيوع مصطلح الواقعية منذ أعلنه (بلزاك) 1799-1850م[1].

متعثرة تعثر البحث عن الذات في ظل أجواء القهر بدأت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، فهي من مواليد السبعينات إذا ما استثنينا المحاولات الأولى البسيطة التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية: ((يمكن أن نلحظ فيها بدايات ساذجة للرواية العربية الجزائرية سواء في موضوعاتها أو في أسلوبها وبنائها الفني، فهناك قصة مطولة والمتمثلة في "غادة أم القرى" للأديب الشهيد "أحمد رضا حوحو" 1947، ثم تلتها قصة كتبها "عبد المجيد الشافعي" أطلق عليها عنوان "الطالب المنكوب" فهي ساذجة المضمون مثل طريقة التعبير فيها))[2].

بعد ذلك كانت تقاطعات روايات أخرى ظهرت في الخمسينات منها "الحريق" "لنور الدين بوجدرة" 1957 ثم ظهرت رواية أخرى في الستينات عنوانها "صوت الغرام" للكاتب "محمد منيع" ثم توقف هذا النوع من الروايات.

فهي روايات تبقى "مجرد محاولات قصصية تندرج ضمن ما يمكن أن يطلق عليه بإرهاصات الرواية العربية في الجزائر غير أنها تفتقد للشروط الفنية التي يقتضيها جنس الرواية"[3].

وبقي الفن القصصي المكتوب بالعربية يسير على وتيرة ثقيلة إلى أن جاء "الطاهر وطار" وحاول إخراج هذا الفن القصصي بما فيه الرواية من التابوت اللغوي والمضامين المستهلكة.

فمع بداية السبعينات التي شهدت تغيرات قاعدية كبيرة كانت الولادة الثانية والأكثر عمقا للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية وجاءت "اللاز" "للطاهر وطار" انجاز فنيا جريئا وضخما يطرح بكل واقعية وموضوعية قضية الثورة الوطنية[4].

و"ريح الجنوب" "لعبد الحميد بن هدوقة" الصادرة 1971، وهي الرواية التي تكاد تجمع –قطعيا- آراء النقاد والباحثين على أنها البداية الفعلية لرواية جزائرية ناضجة بلسان الأمة: اللغة العربية[5].

1- المرجع السابق، ص196.

2- عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص199،200.

3- مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصبة للنشر، الجزائر، ص08.

4- واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر (بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص90.

5- عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، ص196.

(لذلك فالبداية الحقيقية التي يمكن أن تدخل ضمن مفهوم الرواية هي التي ظهرت منذ سنوات قليلة أي في السبعينات) [1].

فقد شهدت هذه الفترة وحدها ما لم تشهده الفترات السابقة من تاريخ الجزائر على الإطلاق، من انجازات سواء أكانت اجتماعية أم سياسية أو اقتصادية أو ثقافية، وكانت الرواية تجسيدا لذلك كله، وتعداد بسيطا للأعمال الروائية التي شهدت ميلادها هذه الفترة ويبرز بشكل واضح هذه الحقيقة[2]:

- "نَار ونُورْ"، "دماء ودموع"، "الخنازير" للدكتور عبد المالك مرتاض.
- "اللاز"، "الزلزال"، "عرس بغل"، "العشق والموت في الزمن الحراشي" للطاهر وطار.
- "قبل الزلزال" لعلاوة بوجاري.
- "طيور في الظهيرة" ... لمرزاق بقطاش.
- "ريح الجنوب"، "نهاية الأمس" ، "بان الصبح" عبد الحميد بن هدوقة.
- "مالا تذروح الريح"، "الطموح" ... عبد العالي محمد عرعار.
- "باب الريح" علاوة وهبي.

وغيرها من الروايات الأخرى التي كانت النشأة الجادة الناضجة لروايات فنية جزائرية، والنتاج الفني الطبيعي لهذه الفترة التاريخية.

ومنذئذ "لم يعد الحديث عن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية ينطلق من موقف الشفقة أو الدعم التعاطفي ولكنها أصبحت تنتزع الإعجاب والتقدير، وغطت بهيمنتها على باقي الأجناس الأدبية في الجزائر"[3].

فالرواية الجزائرية إذا حديثة العهد بالظهور، والمكتوبة منها باللغة العربية أكثرها حداثة، إلا أننا نستطيع القول، أنها منذ ظهورها الأول قد اقتحمت الساحة الأدبية بشكل قوي.

وبالحديث عن نشأة الرواية نجد أنفسنا ملزمين بربط هذه النشأة وتطورها بأهم الأحداث التاريخية والتحولات الاجتماعية التي أفرزت هذه الأعمال الروائية غير أن استعراض التاريخ النضالي للشعب الجزائري أمر يبدو في غاية الصعوبة لتراكم الأحداث وتشابكها وعدم تحليلها، وإن المقام لا يسمح لنا سوى بالإشارة إلى بعض المحطات الهامة والأساسية التي لها علاقة بالرواية.

1- عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري، ص201.

2- واسيني الأعرج: إتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص111.

3- إدريس بودية: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، دراسة نقدية، قسنطينة، ط1، ص40.

ويمكن ونحن بصدد الحديث عن تاريخنا النضالي أن نتحدث عن فترتين متميزتين هما:

- فترة ما قبل الاستقلال.
- فترة الاستقلال واستعادة الحرية.

فبشأن الفترة الأولى يمكن الحديث عن شكلين من أشكال المقاومة، أحدهما سياسي والثاني مسلح، فالنشاط السلمي يبدأ مباشرة عقب الاحتلال وتوقيع الداي حسين على معاهدة الاستسلام في 05 جويلية 1830، حيث حول حمدان خوجة تكوين ما يمكن أن يعد أول حزب وطني يعرف بلجنة المغاربة، وقد نشطت الحركة السياسية وتعددت الأحزاب في النصف الأول من القرن 20 على الخصوص متخذة التيارات الثلاثة الآتية.

التيار الأول: كان يطلب بتحقيق المساواة بين الأغلبية الجزائرية والأقلية الاستعمارية ونادى بذلك الأمير "خالد" حفيد الأمير "عبد القادر" خلال الحرب العالمية الأولى، ثم تطور مطلب هذا التيار إلى التجنيس والاندماج ونادى بذلك "بن جلول" و "فرحات عباس" وبعد الحرب العالمية الثانية تطور هذا التيار في إطار الإتحاد الديمقراطي للبيان الذي أخذ يطالب بإقامة جمهورية جزائرية مرتبطة بفرنسا في اتحاد فدرالي[1].

التيار الثاني: وهو استقلالي: برز بعد الحرب العالمية الأولى، ممثلا في نجم شمال إفريقيا، وكان يشكل من العمال الكادحين المهاجرين في ديار الغربة، ثم انتقل إلى الجزائر فبرز في الثلاثينات باسم حزب الشعب الجزائري، وتجدد بعد الحرب العالمية الثانية باسم حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية وكان من بين تشكيلاته من كلفوا بالإعداد للثورة المسلحة[2].

التيار الثالث: هو تيار إصلاحي اجتماعي تمثل في جمعية العلماء المسلمين التي تأسست في الثلاثينات، ولعبت دورا بارزا في إعلاء المفهوم الوطني الجزائري، وتأكيد عروبة الجزائري وعدت هذه الحركة الأب لاستقلال الجزائر[3].

والمقاومة المسلحة قد انطلقت منذ احتلال الجزائر في شكل ثورات متلاحقة يمكن أن نحدد منها محطات ثلاث هي:

1- صالح مفقودة: نشأة الرواية العربية في الجزائر،مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ع2، جامعة بسكرة،2005، ص14.

2- صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، ص48.

3- عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي (1925-1967) تر: محمد صقر: ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص20.

- ثورة الفلاحين 1871 بقيادة الحاج أحمد باي.
- أحداث 8 ماي 1945.
- ثورة نوفمبر 1954-1962.

إن هذا التاريخ العظيم للشعب الجزائري قد انعكس في الأعمال الأدبية الشعرية بصورة خاصة، أما في الرواية فيمكن الإشارة إلى أول بذرة قصصية في الأدب الجزائري وهي "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" التي تعود إلى تاريخ 1849[1]، إذ ترتبط بتاريخ ثورة الفلاحين، وقد كان الناقد والباحث الجزائري "أبو القاسم سعد الله" قد عثر عليها مخطوطة في المكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة فقام بتحقيقها وطباعتها[2].

فكانت أول عمل قصصي انعكست فيه نتائج الحملة الفرنسية على الجزائر، فقد صادر المستعمر أملاك المؤلف وأملاك أسرته واضطهدها.

أما أحداث 8 ماي 1945 هذه المجزرة الرهيبة التي لم تفت في عضد الجزائر الذي خرج بعزيمة أقوى وأصلب واتضحت مطالبه أكثر وانطلقت الأقلام بعدئذ تعبر عن سخطها وتنادي باسترجاع الشخصية الوطنية المصادرة وبالفعل أخذ الكتاب يعبرون بعنف، ويندون بمظاهر التبعية.

وليس مصادقة أن تتزامن هذه الأحداث مع أعمال بدأت تعانق الفن الروائي بوعي قصصي فكان أول جهد معتبر فيها **(غادة أم القرى) "لأحمد رضا حوحو"** عن معاناة المرأة الحجازية ضغوط القهر والحرمان، انتهى من كتابتها في الجزائر (01 جانفي 1941) [3].

وإذا انتقلنا إلى المحطة الأخيرة وهي اندلاع الثورة، فإننا سنجد هذا الحدث يشهد ظهور بعض الروايات المتمثلة في رواية **"الحريق" لنور الدين بوجدرة"** ورواية **"الطالب المنكوب" "لعبد المجيد الشافعي".**

أما فيما يتعلق بفترة الاستقلال وما بعده فقد ارتبطت برواية **"ريح الجنوب" "لعبد الحميد بن هدوقة"** الروائي الذي عاش في رواياته تجربة المجتمع الجزائري و(("**ريح الجنوب**" تثير قضايا كثيرة تتصل بالأرض وبالمرأة، وبنضال الأفراد من اجل الحياة والمستقبل، كما تعالج الدوافع الشخصية والتصرفات التي تحرك الإنسان ونفوذه إلى مصيره، ثم تفرض الجانب الشرفي للإنسان وصراعه الدائم ضد رواسب الماضي ومحاولته للتفوق على نفسه، ولكنه يساق إلى نهاية لا يريدها لأن الظروف أقوى منه)) [4].

1- صالح مفقودة: نشأة الرواية العربية في الجزائر، ص49،50.

2- احمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1996، ص85.

3- عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، ص197.

4- عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري، ص201.

فالرواية الجزائرية استطاعت أن تبلور معالم الواقع الثوري إبان الثورة الجزائرية المسلحة وأثناءها وفي زمن الاستقلال، ولعلى هذا الواقع بحركته قدم للروائيين الجزائريين مادة غنية ساعدتهم في عملية الإبداع والتكوين.

3- عوامل تأخر الرواية الجزائرية:

تأخر ظهور فن الرواية في الجزائر عنه في كثير من الدول العربية الأخرى وبخاصة المغرب وتونس وهما الدولتان العربيتان اللتان تتشابه ظروفهما -إلى حد كبير- مع الجزائر.

فقد احتلت الجزائر في فترة مبكرة سبقت المغرب وتونس، وهذا ما دفع الجزائريين إلى أن يضعوا نصب أعينهم هدفا "ثابتا" "وحدا" هو العمل على مقاومة هذا الاستعمار الاستيطاني، ولم يكن الفكر والدعوات الإصلاحية إلاّ وسيلة وخطوة من خطوات التعبير الداخلي.

وفي إبان الثورة كان الشعر هو الفن الغالب، وهو أمر طبيعي حتمي لبث روح الحماسية ودفع المواطنين إلى الاشتراك في معارك التحرير، والانخراط في جبهة التحرير الوطني،

ولم تكن الظروف النفسية والمادية تسمح للكتاب أن يتفرغوا ويتأملوا ليكتبوا رواية فنية[1].

وفي هذا الصدد نقول أنه على الرغم من هذه السلبية للاستعمار الأجنبي فأننا نسجل جانب ايجابي له فهو الذي أيقظ الجزائريين من سابقهم وأخرجهم من غفلتهم فاكتشفوا فجأة طبيعة الذلة في العيش تحت الحكم الأجنبي فكان رد الفعل ذا وجهين أحداهما: سلبي يتمثل في الهجرة إلى الخارج والثاني إيجابي يتمثل في المقاومة المسلحة والمقاومة الفكرية ذات الطابع الديني[2].

وفيما بعد الاستقلال صار لزاما أن يفكر الكتاب الجزائري في الأقدام على هذا اللون من الكتابة الأدبية والفنية، فقد تغيرت الظروف وانتهت العوامل الخارجية المعوقة وتبلور الشعور القومي والاستغلال الذاتي.

وهنا نجد **"واسيني الأعرج"** يقول عن أسباب عدم ظهور الرواية في الستينات وتأخرها للسبعينات ((لأن الظرف التاريخي بكل مفارقاته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، زيادة على أن ثقافة الأديب لم تكن لتساعده ولا لتسهم في ظهور الرواية ولكنها خلقت التربة الأولى التي ستبنى عليها أعمال أدبية فيما بعد، خصوصًا مع التحولات الديمقراطية في بداية السبعينات))[3].

1- سيد حامد النساج: الطاهر وطار والرواية الجزائرية، مجلة فصول، ع2، 1982، ص254.

2- عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، ص11.

3- واسيني الأعرج: إتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص111.

وناقلة القول: ((إن البيئة الثقافية في الجزائر عانت من تعقيدات متعددة، الأمر الذي جعل الحركة الأدبية تعاصر ظروفا صعبة جدا وقاسية أعاقت انطلاقتها وحجمت قدرتها على الخلق والإبداع والعطاء، وإذا كان تطور الحركة الأدبية في المشرق وفي أقطار المغرب العربي، عدا الجزائر طبيعيا، فإن تطورها في الجزائر كان محاطا بالمصاعب والتمزق والشذوذ)) [1].

إضافة إلى ذلك فإن تأخر ظهور الرواية الفنية المكتوبة باللغة العربية إلى فترة السبعينات يرجع إلى أن هذا الفن صعب يحتاج إلى تأمل طويل وإلى صبر وأناة، ثم يتطلب ظروفا ملائمة تساعد على تطوره وعناية الأدباء به وفي مقدمة هذه العوامل أن الكتاب الجزائريين الذين كتبوا باللغة العربية اتجهوا إلى القصة القصيرة ((لأنها تعبر عن واقع الحياة اليومي خاصة أثناء الثورة التي أحدثت تغييرا عميقا في الفرد، أما الرواية فأنها تعالج قطاعا من المجتمع يتشكل من شخصيات تختلف اتجاهاتها ومشاربها، وتتفرع تجاربها وتتصارع أهواؤها ومواقفها))[2]، ومن ثم كان الكاتب يحتاج إلى تأمل طويل بالإضافة إلى أن الرواية تتطلب لغة طيعة مرنة قادرة على تصوير بيئة كاملة، هذا ما لم يتوفر لها سوى بعد الاستقلال.

وفوق هذا فإن كتاب الرواية الجزائرية لم يجدوا أمامهم نماذج جزائرية يقلدونها أن ينسجون على منوالها، كما كان الأمر بالنسبة للكتاب باللغة الفرنسية ومع ذلك فإن كتاب الرواية العربية الجزائرية قد أتيح لهم أن يقرؤوا في لغتهم عيونا واسعة في الرواية العربية الحديثة والمعاصرة لكنهم لم يتصلوا بهذا النتاج إلا في فترة قريبة بسبب الظروف التي عاشوها وعاشتها الثقافة القومية في الجزائر[3].

كما لا يمكن أن نغفل عن عدم وجود المتلقي لهذا النتاج لو صدر، وكيف يوجد في ظل الأمية التي فرضتها سلطات الاستعمار الفرنسي على الشعب الجزائري كي يظل متخلفا، وهذا ما ذكره باحث فرنسي هو **"سيسيل إيمري"** الذي كان مراسلا للمجمع العلمي وأستاذا بجامعة الجزائر في مقال له إذ كتب يقول: ((يوجد في قطر الجزائر، بعد مئة عام من إنتصابنا فيه 82٪ من الأميين الذين يجهلون القراءة والكتابة))[4].

1- المرجع السابق، ص50.

2- محمد مصايف: الرواية العربية الجزائرية ين الواقعية والالتزام، الدار العربية للكتاب، الجزائر، 1983، ص07.

3- عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري، ص200.

4- نفسه، ص164،165.

وكذلك من العوامل المهمة التي ساهمت في إعاقة ظهور القصة والرواية ضعف النقد ، عدم وجود الناقد الدارس الموجه ، ضعف النشر وانعدام وسائل التشجيع الكافية للأديب كي يكتب وينتج، بل يحاول ويجرب بالإضافة إلى عامل التقاليد أبرزها ما يتعلق بوضع المرأة في المجتمع إذ كانت مغلقة لا تسمح لها في الاختلاط أو المشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية ولهذا من الصعب أن تعالج القصة علاقة الرجل بالمرأة أو أن تتعرض لهذا الموضوع وما إلى ذلك[1].

1- المرجع السابق، ص166.

الفصل الأول: قضايا الأدب الجزائري

تمهيد

أولا : القضايا السياسية

ثانيا: القضايا الاجتماعية

ثالثا: القضايا الثقافية

خاتمة

تمهيد:

يلعب الأدب دورا هاما في حياة الأمم والشعوب، فهو زيادة على تخليده للمآثر والأمجاد الوطنية، ونقله لأحاسيس الإنسان، واهتماماته، وتجاربه المختلفة وخبراته المتنوعة، يشكل عاملا حيويا في مسيرة تعميق الوعي السياسي والاجتماعي من جهة، ورفع مستوى الذوق من جهة ثانية.

ولعلى أكبر دليل على الدور الهام الذي يلعبه الأدب في حياة الأمم والشعوب، هو ما يتعرض له الأديب من مضايقات وعقوبات أحيانا، وتصفية جسدية أحيانا أخرى، وبالرغم من كل شيء يظل الأدب مرتبطا بالواقع، مشخصا عوامل القوة، وأسباب الضعف فيه لأنه يغرف منه ويتأثر به ويؤثر فيه.

وقد كان أدباء الجزائر أكبر شاهد وأكثر عناية بأحداث وطنه وقضاياه وقد انفعل الشعراء بهذه القضايا أكثر من غيرهم،لما للشاعر من أحساس مرهف ونفس تستجيب للأحداث وتنفعل بها في وقتها، وتجيش لها عواطفه فيفجرها في شعره وقصائده، فأكثر الشعر سجل هذه الأحداث وكان لسان أمينا لآمال الشعب وأحلامه، و لم تظهر قضية أو حادثة أو مشكلة انتفض لها الشعب إلا وأبدى الشاعر الجزائري رأيه فيها، ووقف يناضل في إصرار عنيد عن حقوق شعبه ضد الاستعمار وأطماعه وقد واكب الشاعر الحركات السياسية والإصلاحية وناقش موضوعات كثيرة كانت محل أخذ ورد بين الكتاب والأدباء، تحدث عن الفرنسية والاندماج ورفضها في قوة، كما رفض الظلم والسيطرة الظالمة، ودعا إلى تعليم المرأة وتثقيفها، كما دعا إلى إحياء التراث العربي، وأكد على فكرة العروبة والإسلام واكب الأحداث السياسية فسجل المؤتمرات التي دعت إلى وحدة وطنية، وعبر عن مشاركته الوجدانية لما حل بالجزائر من كوارث طبيعية واستعمارية، وأشاد بكفاح الشعب وبثوراته ونضاله التاريخي المستمر، ونالت الثورة الجزائرية مكانا بارزا في شعره،فأشاد بدور جيش وجبهة التحرير إلى غير ذلك من الموضوعات التي عاشها الشعب الجزائري طوال نصف قرن تقريبا.

وبعد هذا التمهيد نود أن نتوقف عند ثلاث قضايا أساسية نعتقد أنها قضايا جوهرية في أي حديث يدور حول موضوعات الأدب الجزائري وهي على التوالي:

1/ قضايا سياسية.

2/ قضايا اجتماعية.

3/ قضايا ثقافية.

أولا- القضايا السياسية:

1- قضية أحداث الثامن ماي 1945:

إن الأدب الجزائري في الفترة قبل أحداث 08 ماي 1945 كان أدبا يقوم على محاربة البدع وسياسة الإدماج وتطهير الشريعة الإسلامية من الشوائب، فكان الاتجاه المحافظ هو الأنسب لاحتواء هذه القضايا، لكن هذه الكتابات لم تجد نفعا مع تسارع الأوضاع السياسية، وذلك بشكل الأحزاب السياسية الداعية إلى ضرورة القيام بخطوة نحو النهوض بالشعب الجزائري إلى المطالبة بحقوقه وتقرير مصيره إذ لا بد من ظهور أدب يشعل حتمية الشعب الجزائري ويدفعه إلى الانتصار على ضعفه أولا ثم على الذل الذي سلطه عليه المستعمر، وأصبح على الأديب أن يجعل من إنتاجه الأدبي منيرا يساير به الأحداث السياسية[1].

مع نهاية الحرب العالمية الثانية (1945) واندلاع انتفاضة 08 ماي 1945 هذه الانتفاضة التي لا يعرف الشعب الجزائري مثيلا لها في تاريخه الطويل ((فقد وقعت هذه المذبحة وهو لا يكاد يصدق ما يرى لهول النازلة، وجلل الكارثة وبشاعة الدماء، بكاء اليتامى، وشكوى الشيوخ، وصراخ النساء ... هذا إلى انتهاك الحرمات والعبث بالمقدسات والاستهتار بالعادات والتقاليد)) [2] .

فقد أسهمت هذه الأحداث في إيقاظ الوعي السياسي، وكانت أيضا نقطة تحول في الأدب الجزائري بجميع أجناسه، فبعد أن كان الأدب الجزائري قبل الأحداث أدبا سلفيا تقليديا كما جاء في معظم الدراسات للأدب الجزائري في الربع الأول من القرن العشرين [3].

أصبح أدبا إنسانيا يحاكي قضايا الشعب الجزائري ويسهب في وصف مشاكله "وكان لا بد لتلك المناظر وتلك المنكرات أن تعمل عملها في العواطف والعقول معا وتبدو آثار ذلك كله على أقلام المقالين الجزائريين الذين إن فاتهم تصوير تلك الأهوال في حينها لأنهم سجنوا وشردوا ومزقوا كل ممزق فإنهم حاولوا أن يتداركوا بعض ذلك بعد حين" [4].

---

1 عبد العزيز شرف: المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص41.

2 عبد المالك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص124.

3 محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه لفنية، 1925-1975، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص74.

4 عبد المالك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص124.

كما أن الشعراء أيضا وجدوا أنفسهم يعيشون هذا الحدث الضخم ورأو، بأعينهم كيف تهان كرامة شعبهم، وتداس حقوقه،كما وجدوا شعبهم يعيش في جهل فاضح، وفقر مدقع، وذل أبدي، وراح الشعراء يبحثون عن الثغرات لدفع الهمم، وصقلها إنها صحوة للعقل استنتجت الواقع الخطير للأمة ويشيد الدكتور "أبو القاسم سعد الله" بالنهضة الفكرية والأدبية قائلا: ((أما الحرب فهي كفيلة بتوسيع مجالات الأدب أو تحديدها، إنها تعطي للأديب فرصة الانطلاق وتحطيم المفاهيم السائدة وتسلحه بطاقات جديدة)) [1].

ويبدو أن للحركة الأدبية التي ظهرت بعد أحداث 08 ماي 1945، دفع قوي في إيقاظ الوعي وتحريك الهمم في أوساط الشعب الجزائري، لما تضمنته الإنتاجات الأدبية لاسيما القصائد والمقالات من عبارات ومعاني تحرك المشاعر وتلهبها.

فلقد تباينت الكتابات النثرية والشعرية على اختلاف كتابها وقد سبق كتاب المقالة الشعراء في وصف وتصوير الأحداث وقطاعتها بأروع المقالات الأدبية، ومن أبرز الكتابات النثرية التي ظهرت بعد المجزرة هي تلك المقالات التي ارتبطت ارتباط وثيقا بالصحافة الجزائرية[2]

ويذهب "محمد مصايف" إلى أن الكتابات التي ظهرت أعقاب المجزرة، في جريدة "البصائر" للبشير الإبراهيمي، وجرائد أخرى مثل "المنار" لمحمود أبو زوزو لعبت دورا أساسيا لا في الحرية والاستقلال فحسب، بل في تطوير النثر الجزائري الحديث كذلك[3].

فمن المقالات الممتازة التي كتبت حول هذه المجزرة البشرية، مقالة كتبها أو عزيز بن عمر تحت عنوان "ذكرى ثامن ماي" يقول فيها: ((... ولو ذهبنا نحصي مآسيه وضحاياه وجرائمه، منذ نزل بأرضنا، لما استطعنا أن نحصيها فذكرى ثامن ماي هي ذكرى ضحاياها التي بلغت 40000 ألف حصدهم قوته العمياء بقنابلها ومدافعها بين عشية وضحاها فسقط الشيخ والكهل والشباب والفتاة وربة البيت والرضيع ومن يحبو من الصبية والأطفال، صرعى وحشية جنوده وضحايا رصاصة، فاض الاستعمار في هذا اليوم المشئوم كالبركان، فقذف كل ما في أحشائه من الحمم واليحموم والنار: فذبح تذبيحا وقتل تقتيلا...))[4].

1- أبو القاسم سعد الله دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007، ص56.
2- شريبط أحمد شريبط: تطور البنية الفنية للقصة الجزائرية، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص73.
3- محمد مصايف: النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص115.
4- عبد المالك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص125.

يبدو أن أبا عزيز كان يريد للشعب الجزائري أن يتخذ من هذه الذكرى منطلقا جديدا للكفاح الوطني، وأن يجعل من دماء الضحايا في هذا اليوم ينبوعا يستمد منه القوى والعزم والكبرياء والشجاعة والاندفاع إلى الأمام لأن الشعب الجزائري ذاق في هذا اليوم كل لون من ألوان العذاب والنكال فلا سجن إلا ولج بابه، ولا ذل إلا ذاق عذابه، ولا موت إلا تجرع شرابه.

ونجد "محمد البشير الإبراهيمي" بادر في الكتابة عن هذه الذكرى حيث نجد له مقال عن ذكرى ثامن ماي في 1948 نشرها في جريدة البصائر، فكان المقال إحياء لهذه الذكرى التي تعبر عن وجدان مجروح، ونفس ملتاعة حزينة، وشعور بالظلم والاضطهاد، فيقول في ذلك: ((يوم مظلم الجوانب بالظلم مطرز الحواشي بالدماء المطولة، مقشعر الأرض من بطش الأقوياء مبتهج السماء بأرواح الشهداء، خلقت شمسه طبيعتها فلا حياة ولا نوار، وخرج شهر عن طاعة الربيع فلا تنور ولا نور، وغبنت حقيقة عن الأقلام فلا تصوير ولا تدوين)) [1].

ويوسع الإبراهيمي حديثه عن الاستعمار تقريعا ولوما على أفعاله وأنه جزى الأمة جزاء سنمار هذه الأمة التي قدمت من ثمن النصر مئات الألوف من أبنائها ليقاتلوا لغير غاية ويقتلوا في غير شرف في حين كانت الأمم تقتتل على الملك والملك مجد وسيادة، وعلى الحرية، والحرية حياة وعز، أما هذه الأمة فكانت تقاتل لخيال من أمل، ودماء من حياة، وصبابة من رجاء ... [2].

ويختم حديثه عن هذه الذكرى بقوله : ((يا يوم ... لك في نفوسنا السمة التي لا تمحى، والذكرى التي لا تنسى، فكن من أية سنة شئت فأنت يوم 08 ماي وكفى، وكل مالك علينا من دين أن نحي ذكراك، وكل ما علينا لك من واجب أن ندون تاريخك في الطروس، لئلا يمسحه النسيان من النفوس)) [3].

وقد اتجه الشعراء بعد هذه الأحداث إلى التعبئة السياسية للشعب وذلك من أجل تهيئته وتوجيهه للحصول على الاستقلال، وقدموا ما في جعبتهم من وصف للأحداث بكل ما تعنيه الكلمة من ألم، وكل راح لكن هذه الأحداث بقدر ما كانت نقمة على الشعب الجزائري عامة وعلى الأديب بشكل خاص، فقد

1- محمد البشير الإبراهيمي: ذكرى ثامن ماي 1945، البصائر، ع35، دار الغرب الإسلامي، 1 ماي 1948، ص269.
2- نفسه، ص269.
3- نفسه، ص269.

كانت مرحلة جديدة بالنسبة للأدب الجزائري، وقد سمى **"أبو القاسم سعد الله"** الشعر الذي ظهر بعد الأحداث بشعر البناء قائلا: (ومن أجل هذه النظرة للقضايا الوطنية أسمى هذا الشعر شعر البناء) [1].

ونذكر من هؤلاء الشعراء "محمد العيد آل خليفة" الذي يصف الأحداث قائلا:

أأكتمُ وجديِ ،أو أهدِى إحساسِي *** وثامنُ مايْ جرحهُ مالهُ آسِي ؟

وأرْقُبُ ممَّن أحدثوهْ ضمادَهُ *** وهم في جماحِ لم يلينُوا لإساسِ[2]

2 - قضية الثورة التحريرية:

لعله مما لا يخفى على قارئ يطالع الأدب الجزائري، أن يلاحظ فيه خاصية الثورة بوصفها هاجسا أساسيا يحرك عملية الكتابة، والواقع أن هذه الظاهرة لا تدعوا إلى الغرابة مادامت الجزائر حديثة عهد بحرب التحرير، ومادام طابع عصرنا كله طابعا تحريريا ولعلى أدباء كثيرين يكتبون عن الثورة لا عن قناعة وإيمان، بل يكتبون عنها مضطرين، لأن قيمة العمل الأدبي أو شرعية وجوده، لم تعد تكتسب في الوقت الحاضر إلا بالمرور عبر جسر الثورة[3].

ولقد كان الشعر خير مبشر بالثورة، ويمكن أن نلمس ذلك من خلال القصائد السياسية الداعية إلى الثورة لانتزاع الحرية بقوة السلاح، وهكذا لم يعد هناك شك في أن الشعر عاش الثورة مخاضا، وحقيقة ذلك الشاعر الجزائري كان يشعر بدنو الساعة الحاسمة التي تغير مجرى التاريخ الجزائري فقد كان يدرك أن هناك شيئا عظيما سيحدث وقامت الثورة التحريرية في نوفمبر 1954 معلنة ميلاد الإنسان الجزائري الجديد وفاتحة صفحة جديدة من النضال الجزائري، إنها النهاية المؤكدة لحكم الاستعمار.

وبانفجار الثورة انطلق الشاعر الجزائري كالمارد يواكب بركانها الهادر ويتغنى ببطولاتها، وبدأت الأقلام تتبارى في استلهام ملحمة الجزائر وتصويرها والتعبير عن مشاعرهم الجياشة تجاهها، فالشاعر الذي كان يهلل للثورة لا يسعه إلا أن يقف وقفة تقديس من شعر نوفمبر الذي خرج بالجزائر من المرحلة السياسية إلى المرحلة

1- أبو القاسم سعد الله دراسات في الأدب الجزائري الحديث،ص42.

2- محمد العيد آل خليفة: الديوان ،دار الهدى ، الجزائر ،2010 ، ص345.

3- مخلوف عامر: الرواية والتحولات في الجزائر، (دراسة نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية)، منشورات اتحاد الكتاب الغرب، دمشق، 2000، ص19.

الثورية، وأصبح اسم نوفمبر مرادفا لاسم الجزائر، فكان بالتالي الملهم الذي أوحى لشعرائنا بأغلب شعرهم الثوري[1].

فالواقع أن نوفمبر ليس مناسبة تؤرخ باليوم والسنة، إنه معنى أعظم من هذا وأجل، أنه يحوي كل المعاني والقيم السامية التي تمخضت عن تلك اللحظة التاريخية التي انطلقت فيه الرصاصة الأولى لتعلن ميلاد الإنسان الجزائري الجديد بل أنها عند شاعر "كمفدي زكريا" لا تقل عظمة وجلالا عن ليلة القدر التي تدل فيه القرآن فيصلا بين الحق والباطل، وفي هذا يقول الشاعر:

تباركَ ليلكَ الميمونُ نجمًا ***** وجلَّ جلالهُ هتكَ الحجابَا

فإذا كانت "ساعة الصفر" من نوفمبر هي اللحظة التي عبر فيها الشعب الجزائري عن الرفض لحياة المذلة فإن هذه الساعة ميلاد أعظم ثورة في التاريخ المعاصر، في هذه الساعة فقط خلق الإنسان الجزائري خلقا جديدا الإنسان الذي قدم نفسه إلى الموت ثمنا لنصر الجزائر، في هذا يقول محمد الصالح باوية[2]:

ساعةُ الصفرِ انفجاراتُ عميقةُ

يقظةُ الإنسانِ ميلادُ الحقيقةِ

قصةُ مشحونةُ بالموتِ، بالنصرِ المدنِي

في الينابيعِ العميقةِ.

فلقد جاءت الثورة لتقدم شعراء عاشوا واقع الإنسان الجزائري المنفجر، الزاحف إلى التحويل، والتغيير الجذري، إعادة البنية والعلاقات الاجتماعية لشكل جديد استجابة لتطور حتمي حددته المسيرة التاريخية والتطورات الحضارية أمثال (عبد الكريم العقون، أبو القاسم سعد الله، محمد الصالح باوية، الربيع بوشامة ...)

وإذا نظرنا إلى الفترة الواقعة ما بين عامي 1945- 1962 فإننا نجد أن الشعراء الجزائريين فيها قد التحموا بالنضال والمقاومة وشاركوا الشعب في كفاحه الوطني.

حتى أن احد الأدباء قال (الشعر والحرب شيء واحد وقصيدتي هي الشعب) [3].

1- الوناس شعباني: تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945-1980، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص79.

2- نفسه، ص80.

3- احمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، ص31.

وفي هذا الصدد يقول **"محمد السعيد الزاهري"** في رسالة كتبها **"لمحمد الهادي السنوسي"** في كتابه الموسوم شعراء الجزائر في العصر الحاضر: ((إن الشعر هو الشعور، وأبناء الجزائر يشعرون جميعا بهذه الآلام فما بالهم لا يكونون شعراء أجمعين)) [1].

فسر تقديس الشعراء لنوفمبر يكمن في هذه المعاني الثورية التي تصيب الإنسان بالانبهار كلما ذكر اسم نوفمبر وإلى صورة البطولة والفداء التي تبادر إلى الذهن كلما جرى له ذكر على لسان.

ومن ثم فإن "صالح خرفي" يحاول أن يعلل تقديسه لنوفمبر ولكن السر يبقى فوق تفسير الكلمات لأنه أجل من ذلك وأعظم حيث يقول[2]:

قدستُ فيكَ النارَ تلتهمُ الدجـــَى فتحيلُ ظلمتهُ لهيبًا أحمـــــــــرَا

قدستُ فيكَ الدمعَ حقَ بمقلهِ أغفتْ لتكتحلَ الصباحَ المسفرَا

والفظةُ الخرساءُ يختنقهَا الصدَى والجوعَ في شفةِ الطوحِ في العدَا

قدستُ فيكَ الموتَ مفتخرًا بمنْ يعلُو المقاصلَ كيْ يتيهَ ويفخرَا

والصمتُ في شفةِ الممزقِ نجمهُ اربَا يناجِي ربهُ مستبشرَا

والشيبُ خصبُ بالدماءِ فمَا أختفَى بالقمرِ صوخُ نيتهُ أمْ أزهرَا

والطفلُ يلفظُ بالطوَى أنفاسهُ ثدياهُ خيطًا بالرصاصِ ومادرىَ

وبالتالي فالكلمة هي الأخرى كانت تقاتل إلى جانب الرصاصة، وعليه فالشاعر الجزائري كان من جنود هذه الأمة.

ومن الملاحظ أن الأوضاع المؤلمة التي فرضها المستعمر آنذاك تعد مؤثرا أساسيا في طفيان مشاعر الحزن والكآبة التي لونت الشعر الجزائري آنذاك[3].

1- محمد السعيد الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، المطبعة التونسية، تونس، ط1، ع57، 1926، ص22.

2- الوناس شعباني: تطور الشعر الجزائري، ص81.

3- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، 1925-1975، ص88.

ثم أن انسياق الشعراء الجزائريين للحديث عن هذه القضية قد يكون استجابة طبيعية لواقع اجتماعي وسياسي كانوا يعيشونه، فقد كانت تلك الظروف تتطلب منهم أن يسخر الشعر في سبيل النهوض بالبلاد ويستخدم سلاحا بيد الشاعر إلى جانب سلاح الخطيب في المسجد والمعلم في الكتاب والصحفي في الجريدة. فالمتتبع للأدب الجزائري يعرف أنه أدب ثوري عايش الثورة بكل أبعادها ومفاهيمها، الثورة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي، والثورة ضد الاستقلال والثورة في مرحلة البناء والتحول الاجتماعي، وهذا يعني أنه لم يكن أدبا محايدا أمام واقعه بل عمل على تغيير الواقع من خلال التزامه بقضاياه وتجلى ذلك في سائر الفنون الأدبية، فقد مثلت الثورة الجزائرية نبعا يستقى منه أغلب الروائيين الجزائريين مثلهم الأصلية، إذ ما أن اندلعت الثورة وتتابعت الأحداث المؤكدة على جديتها، ووضوح غايتها وإصرارها على إدراك هذه الغاية حتى أحس الكاتب الجزائري بأن الوقت قد حان لتوعية قراءة الصحف والرأي العام بأسره، سلطة استعمارية باغية وقوة عسكرية لا تقاتل من أجل تحقيق التفوق فقط، ولكنها تقاتل من اجل محق الشعب كامل، ومحوه من الخريطة السياسية والقضاء على كيانه، وانتماءاته الحضارية، فلم يجد هذا الكاتب أسلوبا أكثر شرحا وتوسعا سوى الأسلوب القصصي الذي أتاح له أن يصور عمق المأساة التي تعيشها الجزائر.

كما يقول **"أبو القاسم سعد الله"**: ((إن النثر أشد التصاقا بالأرض من الشعر وقد تجلت هذه الحقيقة في النثر الجزائري بعامة والرواية بخاصة)) [1].

وهذا يعني أن الثورة التحريرية قد غدت عنوانا لكثير من الروايات ولا غرور أن يواكب فن المسرح، - سواء على مستوى النصوص أو على مستوى العروض- الثورة الجزائرية حيث نجد كثير من المسرحيات تبرز صدى ثورة نوفمبر 1954 في المسرح الجزائري والعربي والعالمي منها مسرحية **"الجنة المطوقة" "لكاتب ياسين"** مسرحية **"أبناء القصبة" "لعبد الحميد رايس"**، مسرحية **"الباب الأخير" "لأشرف مصطفى"**، و**"مصرع الطغاة" "لعبد الله الركيبي"** حيث كانت جل هذه المسرحيات تستلهم حوادث الثورة وتحاول تشخيص بطولاتها وقيمتها وإلى اليوم مازلنا نقرأ ونشاهد مسرحيات جزائرية تصور الثورة التحريرية ذلك لأن عظمة الثورة مازالت تجل عن الوصف والتصوير.

1- أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص123.

3- قضية الحرية والتحرر:

بالرغم من الحروب الدامية التي كانت تدور في الجزائر كانت عيون "محمد العيد آل خليفة" تنظر إلى حال الأمة العربية الممتدة من الخليج إلى المحيط التي باتت عرضة لهيمنة الاستعمار الأوربي، حيث عمل الاستعمار على جعل البلدان العربية جزءا من ممتلكاته، وقد نجم عن تلك الهيمنة الاستعمارية بروز حركات تحريرية ثورية أدت إلى استقلال بعض البلدان العربية ، وقد انبرى "محمد العيد آل خليفة" منذ دخوله ميدان الشعر يسعى إلى إثارة الهمم وهز النفوس الغافلة ودفعها إلى نضال من أجل الاستقلال ضمن قالب ثوري كان يلهب الأحاسيس، لهذا كان"محمد العيد آل خليفة" في دعوته إلى الثورة أشبه بالقائد الباسل،وكان بعمله هذا جنديا مغوارا سلك فج الجهاد والنضال بثبات وعزم وهذا ما يلمحه القارئ في قصائده النضالية العديدة

أحرصواُ حقكمْ، فقدْ سيمَا خسفًا ***** لاْ تنامُوا عنْ حقكمْ لاْ تنامُوا[1].

وقد عاشت الحرية تدغدغ شعور المواطن الجزائري منذ أن عرفت أرضه وطأة المستعمر، فقد كانت الحرية أشبه باليد السحرية تحرك كل شعور وكل شيء ولكن لا تعثر منها على شيء.

وقد التقى بها العديد من الشعراء الجزائريين لقاء المحب الصادق نذكر منه "عبد الحميد بن باديس" وغيره، فمن النماذج التي يجب الإشارة إليها مقالة كتبها **"ابن باديس"** تحت عنوان: (حول كلمتنا الصريحة)، يقول في بعضها وهو يرد على بعض الخصوم السياسين: ((... لكن خصومنا، كما قلنا آنفا، أرادوا أن يفهموا من كلامنا أننا نريد الاستقلال، ورأوا أنهم يحرجوننا إذا وضعوا البحث على بساط الاستقلال حتى إذا زل بنا القدم فوق هذا البساط الأملس، استنزلوا علينا نقمة الحكومة، وطلبوا أن نعامل معاملة الثائرين المهيجين ... لكن خابت آمالهم، فنحن قوم لا نتأخر عن الخوض في مثل هذه الميادين وإنهم لا يزعجوننا إن جرونا للبحث في مسألة الاستقلال)) [2].

هذا النص يرينا كيف كان الكتاب الجزائريون لا يهابون أن يطالبوا بنوع من الحرية السياسية، بالرغم مما كانوا يصطنعونه من تقية وحيطة وتحفظ لسطوة الاستعمار وعتوه وطغيانه وجبروته.

1- المرجع السابق، ص45.

2- عبد المالك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص132.

وله مقالة أخرى تعد من أروع ما كتب عن الحرية تحت عنوان مثير هو "أيتها الحرية المحبوبة، أين أنت في هذا الكون" يقول في بعضها: ((... كم من قوم نصبوا لك التماثيل في الأرض، وقد هدموك في القلوب والعقول والنفوس ... وكم من شاعر فتنه جمالك، ولكن لا شعور له مع المستعبدين ... وكم من أبطالا استشهدوا لإنقاذك، ولكن خلفهم من قضى عليك في مهدك، وكم من دماك زكية كتبت بها صحائف تاريخك، ولكن محتها دماء قلوب تحدرت دموعا من الجفون)) [1].

هذا النص يرينا كيف كان الكتاب الجزائريون المقاليون يهيمون بالحرية كل هيام وأبن باديس هنا لا يكتم ما في نفسه من حب شديد للحرية وهيام عارما بها.

أما "محمد العيد آل خليفة" كما قلنا آنف أصبحت الحرية عنده قضية وطنية حساسة فقد كان يشعر بالأسر الرهيب الذي يحياه الشعب منذ أمد طويل، وكان يتناول هذا الموضوع في شيء من الرفق والأناة ويخشى أن يجر عليه التصريح العنيف ولكنه اضطر في النهاية إلى مجارة التيار السياسي المتطرف وإلى المناداة بالحرية الكاملة للشعب الجزائري قائلا:

منْ كانَ في العشاقِ باسمكَ ناطقًا ***** فكأنَمَا هوَ ناطقُ بمحالِ.

واهتفاهْ عليكَ حسنكَ فاتنُ ***** وهواكَ ممنوعُ وصلكَ غالِي [2].

فإذا كانت الثورة معجزة بهذا الحبل الجرار فإن الحرية لن تكون إلا حقيقة واقعية ما للواقع من طابع رزين.

فالثورة بتحقيق الاستقلال والحرية أشرقت على عالم جديد لا يقل غموضا عن ذلك العالم الذي أشرقت عليه في الساعة الصفر من عزة نوفمبر، وقد أشرف الشعر على فرحة الاستقلال والحرية، اشراف الصمت والعاطفة الواعية، وإذا حاولنا أن نتلمس ملامح الحرية والاستقلال والنصر في الشعر أيام الثورة فإننا نجدها تعد الكلمات السحرية التي تغمر الأبيات بروح القوة المتفائلة، فهي الكلمات السحرية التي تحدوا المواقف البطولية في الثورة.

1- المرجع السابق ، ص133.
2- الديوان، ص350.

إن التطلع للحرية يبلغ أوجه عند شاعر إنساني و "محمد العيد آل خليفة" هو الشاعر الجزائري الذي تلمس الحرية، وكان يأمل أن يعيشها وهو يدرك ما تكلف الحرية شعبه من التضحيات الجسيمة، فالثورة الجزائرية كان لها صدى، ومع هذا لم تبق مستعمرة، فلكل بداية نهاية، وكثيرا من الشعراء تغزلوا بالحرية، فقد كانت أكبر دليل وأكثر دلالة على الحب الثائر، فقد تغزل بها "محمد العيد آل خليفة" يوم تساءل في تضرع وتهالك "اين ليلاي" يقول:

أينَ ليلايْ أيتهَا حيلَ بيني وبينهَا.

هلْ قضتْ دينَ منْ قضَى في المحبينِ دينهَا[1].

وهكذا فالكثير أو العديد من الشعراء الجزائريين يغنون للحرية ويعطون لها عدة معاني كل واحد يعبر عنها كما يريد وكما يراها، وهكذا تعددت المعاني للحرية واشادها محمد العيد آل خليفة كما أشاد بنضال شعبنا من أجل الكرامة ودعوته لهم من أجل الاستقلال والحرية، فقد وصف لنا الفرحة الكبيرة التي عاشها الشعب الجزائري بحريته وكرامته قائلا:

كانَ يومَ استقلالنَا عيدَ شعبِ طافحَ البشرِ ساحبَ الأذيالِ.

فالزغاريدُ والهتافاتُ تقلَى بينَ قرعِ الطبولِ والأزجالِ.

والأناشيدَ في الميادينِ تتلَى منْ نساءٍ وصبيةٍ ورجالٍ[2].

وخلاصة القول أن الحرية كانت تستقى أسمى المعاني من الاستقلال والنصر ، وهذه المعاني التي نجدها في الشعر أيام الثورة فهي تلك الكلمات السحرية التي تنبض بروح القوة المتفائلة وبالتالي فالشعر مس أوسع المعاني للحرية، فهي كانت تعني الفرصة المعروضة للتعبير عن النفس باللسان أو بالقلم أو بالسلاح ...

وبالتالي أشرقت الحرية بقربان أسطوري متمثلا في الدهاء والأرواح وأصبحت أوسع المعاني وأعرقها تحمل للحرية التي غدت مثل الشمس.

1- الديوان ، ص432.

2- نفسه ، ص429.

4- القضية الفلسطينية:

لعلى أهم قضية واجهت العرب وشغلتهم منذ الحرب العالمية الأولى هي قضية فلسطين التي تآمر الاستعمار والصهيونية العالمية ليجعلا منها خنجرا يطعن بقوة جسم الأمة العربية، وقد كانت في مراحلها المختلفة في قضية الشعب الجزائري بالرغم ما كان يعاينه من عزلة وتعذيب على يد المستعمر الفرنسي وقد كان إحساس الشعب الجزائري بالقضية الفلسطينية عميقا جدا، إذ أن المعارك والحروب التي تدور على أرض فلسطين تحفز دائما الجزائريين وتدفعهم إلى التطوع والتبرع وحمل السلاح للمشاركة في تحريرها.

فقد احتل موضوع القضية الفلسطينية الصدارة في أعمالهم وفكرهم، حيث أصبحت الدعوة إلى فك قيودها والكتابة عن مآسيها وأحزانها مصدر تجربة أدباء الجزائر ومفكريها ذلك لأنها من القضايا التي كانت تسيطر على شعوره وتتبوأ مركز الصدارة ضمن اهتماماته القومية المتعددة "قضية تناولها أجيال من الشعراء على اختلاف رؤاهم ومفاهيمهم الفنية محدثين ومعاصرين، وخلدوا صفحة ناصعة في تاريخ الشعر الجزائري الحديث، ستظل شاهدا صادقا عن الشعراء الجزائريين[1].

لقد كان تفاعلهم مع هذه القضية إذا والقضايا العربية الأخرى بوحي من إحساسهم العميق بعروبتهم وبأن الجزائر جزء من الوطن العربي الكبير.

وعلى رأس هؤلاء المفكرين والمثقفين الشاعر "محمد العيد" حيث نجده قد حركته أحداث فلسطين، فمنذ بداية الصراع بين فلسطين واليهود ومحمد العيد يعالج هذا الموضوع معتبرا نفسه طرف في الصراع وجزءا منه خاصة ثورتها 1936 التي أثارت في نفسه شجونا وآلاما فراح يصب جام غضبه على "بني التايمز" الذين جاروا على شعب عربي أصيل فيقول :

بنِي التايمزْ فقدْ جرتمْ كثيرًا فهلْ لكمْ منَ الحورِ ازدجارُ؟.

ألمْ يؤلمكمْ حرمُ مباحُ وشعبُ يستخيرَ والايجارُ؟

ونكبةُ أوجهِ بالكشفِ عنْ غزِ تمثلَ جمالَها صنعَ العجازِ

1- كمال عجالي: فلسطين في الشعر الجزائري خلال الفترة 1954-2000، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع4، اكتو بر 2004، ص229.

كمْ احتجتُ لظلمكمْ وضجتْ ولكنْ في قلوبكمْ الحجارَ

إذنْ فالحربُ للعربِي دأبٌ وهلْ تخفَى البسوسُ أو الفجارُ؟[1].

إن بهذا يجعل محمد العيد من فلسطين أرضا له، ومن سكانها شعبا له، فهو يهتم بجمع شتات الوحدة العربية الكبرى ففلسطين بالنسبة له ليست جارة للجزائر في اللغة والدين، وليست أختا لها في التاريخ والمصير المشترك فحسب، بل هي شقيقة عزيزة تبث شكوى أبنائها وآلامهم لأختها الجزائر يقول:

إيهْ فلسطينَ الشقيقةَ لا يبنَى عنْ عدوانِ اليهودِ الأبشعِ

وبحَ القلوبَ فكلُ قلبِ شاعرِ منقطعِ لأنبتكَ المنقطعِ.

ويتألم محمد العيد وهو ينظر إلى الاضطهاد والحيف الذي تحياه فلسطين منذ أن دنست أرضها الطاهرة بأقدام الصهاينة، فهم يجرعونها كؤوس الويلات ويدسون السم بين أبنائها حتى الثمالة افتراها تندب موتاها الشهداء تارة وتبكي فلذات كبدها وهم يزجون في غيابات السجون المظلمة تارة أخرى، وتصرخ قدسها الذي بات عرضة للهدم وهتك الحرمات خاصة وأنها أصبحت عرضة لتقسيم أجزائها.

هلاَ أغثتَ القدسَ منكَ بلغةِ غيرِي علَى هناكَ شعبُ مروعُ

القبلةُ الأولَى تصيحُ وتشتكِي منْ قسمةِ المتأثرِ المستنقعِ

ضمنِي احتجاجكِ لاحتجاجِ حماتَها واستنكرِي تقسيمهُ واستيقظِي[2].

ما نلاحظه أن محمد العيد صور كل جوانب القضية ورصد تصوراتها منذ بداية الغزو، و لم يكن تصويره للأوضاع والمحن التي عاشتها فلسطين تصويرا آليا سطحيا، بل كان معايشة وجدانية ومشاركة انفعالية وهذا ما يؤكد أنه شاعر وطني قومي من الدرجة الأولى.

1- عبد الله الركيبي: دراسات في الشعر العربي الجزائر الحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر، ص66.

2- الديوان، ص147.

لذلك ((فقد ظل هاجس الوحدة ناقوس الخطر الذي كان يسعى إلى تحقيقه الوطن العربي، وخاصة وأنه في حقبة من الزمن كان يتخبط في شراك الاستعمار الأوربي الغاشم وقد كانت الجزائر في طليعة الدولة الداعية إلى وحدة الوطن العربي الإسلامي و لم أشلائه المتناثرة في كافة أنحاء العالم و لم يكن هذا التطلع إلى الوحدة بدون هدف أو خاليا من إحساس داخلي حقيقي، بل كان تعبيرا عن شعور وجداني أخوي ذلك أن النظرة الجزائرية لم تقتصر على قضاياها المحلية أو قضايا المغرب العربي فحسب بل راحت تعانق بشغف وحنين كل القضايا العربية والإسلامية)) [1].

كما تغنى الشعراء الجزائريين بهذه القضية في مناسبات متعددة فقد نوه بها الكتاب أيضا في الصحافة الوطنية ولعلى الشيخ البشير الإبراهيمي أكثر كتابنا الذين جندو أقلامهم لهذه القضية فكتب سلسلة من المقالات في البصائر يصور فيها ما حاق بالعرب وما لحق بفلسطين ويصوره في مثل هذه العبارات المؤثرة: ((يا فلسطين إذا كان حب الأوطان من أثر العمواء والتراب والمآرب التي يقضيها الشباب، فإن هوى المسلم لك أن فيك أو لى القبلتين، وأن فيك المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، وأنك كنت نهاية المرحلة الأرضية وبداية المرحلة السماوية ومن تلك الرحلة الواصلة بين السماء والأرض صعودا بعد رحلة آدم الواصلة بينهما هبوطا وإليك ترامت همم الفاتحين، وترامت الأينق الذلل الفاتحين، تحمل الهدى والسلام وشرائع الإسلام وتنقل النبوة العامة إلى أرض النبوات الخاصة وثمار الوحي الجديد إلى منابت الوحي القديم ...)) [2].

هنا البشير الإبراهيمي يوضح لنا مكانة فلسطين لدى العرب المسلمين وما يوجد فيها من مقدسات يجب ألا تنهلك، ويدعو الجزائريين إلى الوقوف معها ومع أبنائها.

وقد كتب **"عبد الحميد بن باديس"** مقالا نشرته مجلة **"الشهاب"** في أوت 1938 تحدث فيه عن الصراع العربي والصهيوني فيقول:

((... فليست الخصومة بين كل عرب فلسطين ويهودها، ولا بين الصهيونية والاستعمار الانجليزي من جهة والإسلام والعرب من جهة والضحية فلسطين والشهداء حماة القدس الشريف، والميدان رحاب المسجد الأقصى، وكل مسلم مسؤول أعظم المسؤولية عند الله تعالى على كل ما يجري هنالك، من أرواح تزهق

1- عبد الله الركيبي: الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص55.
2- عبد الله الركيبي: فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر، ص32،33.

وصغار تيتم، ونساء ترمل، وأموال تنهك، وديار تخرب، وحمات تنهك كما لو كان ذلك واقفا بمكة أو المدينة)) [1].

هنا ابن باديس يحمل المسؤولية على كل عربي مسلم على ما يجري في فلسطين لأن الضحية في الأول والأخير هي فلسطين وأبنائها جراء كل خصومة، فهو يشجع المسلمين العرب على ألا يبقوا مكتوفي الأيدي وأن يستيقظوا من سباتهم من أجل نصرة وحماية فلسطين.

1- عبد جاسم الساعدي: الشعر الوطني الجزائري بين حركة الاصلاح والثورة، منشورات التبيين الجاحظية، الجزائر، 2002، ص74.

ثانيا- القضايا الاجتماعية:

إن التحولات الاجتماعية التي عاشتها الجزائر استطاعت أن تفرض قضاياها على الأدب، فربطت الأديب بالمجتمع ومن خلال احتكاكه بالحياة اليومية تولد لديه دافع الثورة بمعناها الإيجابي فعمل جاهدا على إثبات دوره في هذا الوقع، وإذا كان الإبداع الأدبي يعبر عن رؤية ثورية فهذا يعني أن الأديب لا يرى فرقا بين الواقع السياسي والواقع الاجتماعي والواقع الاقتصادي[1].

ونخص بالذكر الجانب الاقتصادي المتدهور عند الجزائريين الذي يرجع سببه إلى انخفاض الأجور وارتفاع الضرائب، وسوء توزيع الأراضي الزراعية والبطالة المتفشية بين صفوف الشعب.

كان لهذا الوضع الاقتصادي البائس انعكاساته الوخيمة على المجتمع ومن نتائجه الفقر والجوع والأوبئة التي كان ضحيتها ألاف البشر خاصة مع بداية الخمسينات، وكان المستعمر يرعى هذه الأوضاع السيئة والشعر خير مرآة عاكسة لهذه الأحداث الاجتماعية [2].

ومن الشعراء الذين أوقفوا شعرهم على قضايا الشعب **"محمد العيد آل خليفة"** حيث يقول في قصيدة **"ياشباب"**:

أيهَا الشعبُ أنتَ موضوعَ شعرِي وشعورِي لا زينبُ والربابُ[3].

ويقول أنه خلق ليواسي المحرومين والبائسين ويشيد بصرعى الوطنية ويؤبن موتاها المظلومين بقلب جريح وعين دامعة فيقول:

يناغِي البائسَ كمَا يناغِي لعمرِي العندليبَ العندليبَا

ويحيِ في رثائهمْ اليالِي وينهضُ في مصارعهمْ خطيبًا.

1- أحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، ص173.
2- الوناس شعباني تطور الشعر الجزائري 1945-1980، ص35.
3- الديوان، ص237.

بقلبِ يلفظُ الانفاسَ حسرَى وعينِ تذرفُ الدمعَ الصبيَا[1].

فإذن هو شاعر اجتماعي يحس بآلام الجماعة ولا يقف متفرجا على المنكوبين أنه يشاركهم بؤسهم ويدافع عن حقوقهم ويتعمق مشاعرهم وتجاربهم .

ومن المواضيع الاجتماعية التي وقف عندها الشاعر الجزائري طويلا "الفقر" و "البطالة المتفشية " التي ترتبت عنها المآسي الاجتماعية، فقد تميزت الفترة التي عاشتها الجزائر قبل الحرب العالمية الثانية بانتشار حالة الفقر وسوء التغذية وقد تفاقم الوضع وقت اندلاع الحرب، إذا كان الشعب يعيش على حافة المجاعة[2].

وقد كان الشعر الجزائري بطبيعة الحال صورة ناطقة عن هذه الأوضاع الاجتماعية المزرية التي لحقت بالشعب الجزائري في تلك الفترة.

ونجد قصيدة **"المسكين مع شبح البؤس"** عبارة عن قصة واقعة بطلها هذا المتسول المسكين من ضحايا الاستعمار.

والقصيدة طويلة فيها تصوير لحالة هذا البائس الاجتماعية والنفسية ووضعه الاجتماعي السيئ، إنه لا يستطيع النوم من شدة الجوع وفي بعضها:

عقاربُ الجوعِ دبتْ في جوانحِهِ وجدوةُ الهمِ شتتْ في حناياهْ

في قلبهِ غادةُ الآمالِ عابسةُ تئنَ شاكيةً منِ لدغِ شكواهْ

أمَا المنامُ فطيفُ لا يساورهُ حتَى يصبحَ منَ الإعياءِ جبيناهْ

وهكذا أصبح هذا المسكين الذي لم يجد من يرحمه، تحت رحمة الطبيعة يقتات من فتات الخبز المرمي، ويبيت على الأرصفة لا يواسيه إلا دموعه التي تركت سيولها أخاديده على وجنتيه[3].

1- الديوان، ص261.

2- عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري 1925-1967، ص89.

3- الوناس شعباني: تطور الشعر الجزائري 1945-1980، ص37.

وقد وصف محمد العيد آل خليفة حياة الشعب البائسة من جراء الفقر والبطالة والأمراض والتشرد ... وصفها ليقدمها صورة ناطقة إلى اللذين يزعمون أن الشعب الجزائري يعيش في رغد منذ أن فتح عينيه على المدينة الاستعمارية الحديثة، وكأنه يقول لهم أن الشعب الذي يعيش في الجهل ويتضور جوعا لا يهمه أن يقال عنه أنه شعب متحضر أو بدائي بقدر ما يهمه أن يعيش حرا تحت سمائه وفوق أرضه يأكل ويتعلم ويعالج بمشيئته واختباره.

ولقد تحدث محمد العيد آل خليفة عن هؤلاء البؤساء في أكثر من مناسبة وكان رمضان مناسبة للحديث عن الفقراء وجوعهم هؤلاء البؤساء الذين يعج بهم المجتمع يطوقون البيوت ويستمحون المارة، وقد خاطب الشاعر دوي اليسار من الجزائريين وقدم لهم هذه الصورة عن أخوانهم لعلها تحرك في نفوسهم عطفا وحنان على هؤلاء المشردين فيقول:

فيَا ويحَ الفقيرِ يضيعُ جوعًا ... وليسَ لهُ منَ الأقوامِ حامِي

يطوفُ علَى المزابلِ حيثُ يرجُو ... قتاتَ الخبزِ أو قطعَ العظامِ

ولولاَ الجوعَ لَمْ ينبشْ قمامًا ... و لَمْ يشتقْ إلى مَا في القمامِ

وقَد يطَوي الأزقَة مستميحًا ... فيحومَه الحُطَام ذوو الحُطَام[1].

هذه هي مأساة الإنسان الجائع في الجزائر كما أوحت إلى الشاعر وأثارته بهذا الشعر النابض وبالتالي فالأديب الذي يصور مجتمعه هو ابن ذلك المجتمع وهو مرتبط به ماديا واجتماعيا ونفسيا وأخلاقيا[2].

كما طرحت القضايا الاجتماعية في المسرح الجزائري منها قضية المراة في مسرحيات **"دولة النساء"** **"آش صار في ليلي"** **"فاطمة العقونة"** إضافة إلى الآفات الاجتماعية التي كانت متفشية بشكل كبير في مجتمعنا

1- الديوان، ص154.

2- سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1967، ص185.

كالجهل وتعاطي الكحول في مسرحية "الشباب السكير الجاهل" فالمسرح الجزائري في الفترة ما بين 1947 و1953 كان مناهضا للاحتلال حتى ولو بطرق ضمنية[1].

فالهدف من هده المسرحيات ممارسة عملية لتوعية التي ظل المسرح يمارسها بالاعتماد على المعاني الضمنية لرقابة الاستعمار عليه.

ولقد عني الكتاب الجزائريون المقاليون خلال هذه الفترة بالمواضيع الاجتماعية عناية كبيرة لأن العلماء والمثقفين الجزائريين خلال هذه الفترة كانوا يميلون ميلا شديدا إلى إصلاح الفاسد وتقويم المعوج، وتربية المنحرف كل ذلك تشخيصا للداء للبحث بعد ذلك عن الدواء الناجع والعلم النافع.

ومما يدل على أهمية هذا الموضوع واشتغال الكتاب الجزائريين به، ما نجد في "الشهاب" حيث عقدت له ركن خاص به في كل شهر تحت عنوان "في المجتمع الجزائري"، ولعلى أكتب كتاب المقالة الاجتماعية إنما هو **"أبو عزيز بن عمر"** الذي خلف نتاجا مقاليا ضخما دبجه كله حول موضوعات اجتماعية مختلفة منها مثلا "قانون الكراء الجديد" و "التأمين الاجتماعي" و"طابع رمضان الاجتماعي"و "التشرد" و "التسول" و "العناية باليتيم" و "مشاكل الأسرة الجديدة" التي يقول في مطلعها:

((كثرت مطالب الحياة الجديدة وتكاليفها كثرة جعلت كل أسرة متوسطة في المجتمع الجديد في حيرة واضطراب من حالتها الاقتصادية ودخلها الضيف فهي في المدينة تشكو ارتفاع الأسعار وغلاء مواد التغذية والمعيشة ... وكان من جراء هذا الوضع الاجتماعي، أن تصدعت أركان الأسر في الحاضرة والبادية على السواء، وكثرت حوادث الطلاق بصورة مخجلة تنذر مجتمعنا الكبير بالشر المستطير)) [2].

و لم يهمل الكتاب الجزائريون الآخرون الجانب الاجتماعي في كتاباتهم المقالية فنجد "أبا يعلي الزواوي" يتحدث في ألم مُمض عن ظاهرة الأمية في المجتمع الجزائري، وذلك في مقالة نشرها بعنوان: "الأمية في أمتنا الجزائرية" وممن طرق المواضيع الاجتماعية أيضا "أحمد بن ذياب" حين كتب مقالا بعنوان: "أدواء الأسرة" و"محمد البشير الإبراهيمي" في مقالة عنوانها: "الشبان والزواج".

1- ينظر أحمد بيوض: المسرح نشاته وتطوره، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر، 2009، ص121 - 127.
2- نفسه ،ص114.

و"**أحمد عاشور**" في مقالة تحت عنوان: "**الهجرة من الجزائر إلى فرنسا**" وفي هذا الصدد ننوه إلى الدور الذي لعبته جمعية العلماء المسلمين في تهذيب الجالية الجزائرية بالمهجر حيث يقول الشيخ "محمد الصالح بن عتيق" متحدثا عن آفاق العمل الارشادي لجمعية العلماء المسلمين بالمهجر ((لم تكتف بهذا داخل الوطن بل تجاوزته إلى التفكير في العمال الجزائريين بفرنسا، فانتدبت للقيام بهذا العمل في أوساط العمال الجزائريين بفرنسا الداعية الكبير "**الورتلاني**" فسعى إلى تأسيس نوادي بعدة جهات من فرنسا)) [1].

ونجد أيضا "**العرباوي عمر**" في مقال له بعنوان "**مشكلة البطالة في الجزائر**" ويقول في مطلعها: ((... ولنضرب الآن مثالا لهذا الاحتلال عندنا بمشكلة البطالة في الجزائر فإن خطرها قد تفاقم في المعسكر الأهلي بمجتمعنا الجزائري، إذ أصبح عدد ضحاياها في صعود مستمر، يزيد كل سنة عن السنة التي قبلها باعتراف المسؤولين أنفسهم وهو ما لا نجد له من أثر في المعسكر الأوربي الذي أصبح لا يشكو ظلما ولا هضما)) [2].

يلاحظ من هذا النص أن هذه الظاهرة في استفحال مطرد بالجزائر، وإنها منصبة متسلطة على المواطنين الجزائريين البؤساء وحدهم، في حين أن المستوطنين الأوربين كانوا في متعة وحصانة من هذا الخطر الداهم، والشر القائم، وكيف يخشون البطالة والجوع وقد كانوا السادة في الجزائر؟.

كما نالت الموضوعات الاجتماعية حظا فائقا من كتاب القصة القصيرة في الجزائر ومن ذلك قصة كتبها "أحمد بن عاشور" بعنوان "تضحية" فقد بنى حوادثها على الحب والعاطفة، لكنه عالج فيها مشكلة السحر والشعوذة، والكاتب كان يريد أن يعلم من لا يعلم من الناس أن اللجوء إلى السحر فشل ذريع في الحياة، وأن الفزع إلى الشعوذة حرمان وأن التطور قد يؤدي أحيانا كثيرة إلى نيل المرام، ولوا كان متمثلا في التضحية بالتقاليد الوطنية[3].

فالموضوعات المعالجة لم تكن تتكرر إلا قليلا، بيد أن الموضوعات بعينها كانت تفرض نفسها على أكثر من كاتب واحد لأهميتها وحيويتها، فكان بذلك الأديب يتتبع المشاكل الاجتماعية فيغوص عليها بقلمه، ويلقي عليها الضياء بفكره وآرائه وتوجيهاته.

1- عبد الله حمادي: أصوات من الأدب الجزائري، منشورات جامعة منتوري ، قسنطينة، 2000، ص95.
2- عبد المالك مرتاض فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص115.
3- نفسه، ص177، 178.

فالحركة الأدبية إذا ذات صلة وثيقة بالوضع الوطني والاجتماعي فقد كان الأديب دائما ضمير الأمة وصدى همومها وآمالها، ولسانها المعبر عن معاناتها وطموحها يرصد جوانب الخير والشر فيها فيبارك ذلك عموما ويعرض لهذه ويدنيها غالبا مبشرا بمثل العمل والمحبة والوفاء، داعيا إلى سعادة الإنسان وصون كرامته وكرامة وطنه، معلنا عداءه لكل أشكال الظلم والقهر وكل أساليب المصادرة التي تتعرض لها حوية الأفراد والأوطان)) [1].

والشيء نفسه بالنسبة للروائيين فعندما أتيحت الفرصة لهم بأن يعبروا عن أنفسهم أنصب اهتمامهم الأول على المشاكل الاجتماعية التي تواجه شعبهم وركزوا بشكل خاص على مرض اجتماعي خطير ألا وهو الفقر الذي تأتي منه كافة الشرور والمشاكل وهو ما دفع بالعديد من الجزائريين بالهجرة إلى فرنسا كي ينقذوا عائلاتهم من حالة الضنك والفقر التي يعيشونها[2].

ومن جملة المشاكل الاجتماعية المطروحة قضية المرأة ، هذه القضية القديمة المتجددة أنها قضية ملحة ومفتوحة كثيرا ما تثار بصورة تصل إلى حدا التناقض، فبينما ترى بعض الآراء ضرورة التزام المرأة بالبيت، ترفع أصوات أخرى لتمزيق ذلك الرداء الأسود والانطلاق إلى العمل والمشاركة في الحياة جنبا إلى جنب مع شقيقها الرجل، وبين هذين النقيضين ترتفع أصوات وسيطة تدعوا إلى إتباع منهج وسط بين الانغلاق والتحرر.

والمرأة في الرواية تحتل نصيبا أوفى، وأوفر، وكذا الشأن في الدراسات الأدبية والاجتماعية[3]، وبحديثنا عن وضع المرأة نجد "عايدة أديب بامية" تقسم تاريخ المرأة الجزائرية في العصر الحديث إلى ثلاث مراحل هي:

المرحلة الاستعمارية، مرحلة حرب التحرير، مرحلة الاستقلال.

ففي الفترة الأولى كانت المرأة مضطهدة، وكانت تعامل أشبه ما تكون بالسلعة ذلك أن الاستعمار عرف بقسوته على الأهالي وهؤلاء ينقلون المعاملة نفسها إلى بيوتهم.

1- عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، ص62.
2- عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري، ص71.
3- صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، ص10، 11.

أما في فترة حرب التحرير فقد أثبتت المرأة جدارتها في الكفاح بمساعدتها الرجل وبحمل السلاح أيضا، ومما تؤكده الثورة مشاركة المرأة للرجل في الكفاح النضالي وتقدم لنا الأديبة "زهور ونيسي" في روايتها "من يوميات مدرسة حرة" حدثا يبلور صورا من النضال في حرب التحرير ... وركزت على مشاركة المرأة في الثورة ومقاومة الاستعمار إلى جانب أخيها الرجل، فهي للعلم والتخطيط الثوري ومخبأ للثوار، ومقر الاجتماعات[1]، فالأدوار المتعددة التي قامت بها النساء خلال الثورة قد أحدثت خلخلة في العلاقة الاجتماعية، فارتفعت لأول مرة مكانة المرأة وسجلت بطولتها القصص والحكايات التي سيتغذى بها الأدب القصصي فيما بعد[2].

أما وضع المرأة في فترة الاستقلال فقد أصيب بخيبة أمل لأن المجتمع عاد إلى صورته الطبيعية الأصلية التي تنظر إلى المرأة على أنها قاصرة، لكن المرأة التي أثبتت جدارتها أثناء الثورة ما كان لها أن تستسلم بسهولة، فقد تأثرت بالموقف التحرري، وظلت تطالب بحقها في ميدان الشغل والتعليم وبذلك بقيت المرأة في وضعية أقل بكثير من الطموحات التي كانت قد رسمتها، وقد كان هذا الوضع موضوعا لبعض الكتابات التي نذكر منها على سبيل المثال كتابين **"لفضلية مرابط"** هما **"المرأة الجزائري" و "الجزائريات"** [3].

وبذلك فقد أضحت المرأة عنوانا في الأعمال الأدبية والروائية منها بخاصة مثلما نجدها عند **"بن هدوقة"** حيث نراه يعالج موضوع المرأة دون لف أو دوران ، وقد كتب عنها وعن جسدها وآهاتها في رواية **"ريح الجنوب"** التي أدخل فيها المرأة كإنسان له دوره الكامل كجسد وعقل وأحاسيس ومشاعر ، إذ تقول الكاتبة الجزائرية **"أحلام مستغانمي"** في هذا الجانب: هي أول عمل إبداعي أدخل فيه المرأة لها جسد وشهوات إنسانية، وأنها عضو فاعل في المجتمع الجزائري.

أما **"جان بول ايفري"** الناقد الفرنسي يقول عن ابن هدوقة : ((إنه جزائري حتى النخاع ، لأنه عكس هموم الطبقات والشرائح الاجتماعية وطموحاتها عبر أعماله الأدبية ، شعرا ورواية ووضع المرأة في المقام الأول ذلك أنها أهم مدرسة ، فالمرأة احتلت المكانة التي يجب أن تحتلها لا غير في أعماله المختلفة)) [4].

1- أحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، ص91.
2- صالح مفقودة: المراة في الرواية الجزائرية، ص29.
3- نفسه، ص31.
4- الطيب ولد العروسي: أعلام من الأدب الجزائري الحديث، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2009، ص156.

إجمالا تعد المرأة من الموضوعات التي عالجتها أعماله وهي في نظره إحدى نقاط التأزم والصراع في حياتنا الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، ولقد كانت المرأة والمستقبل وكل قضايا الحياة مركز اهتمام الكتاب الجزائريين كلهم.

ثالثا- القضايا الثقافية:

كانت ثقافة الجزائر من قبل إسلامية عربية، وكان لهذه الثقافة كيانها وعناصرها المستمدة من الدين والعلم والتقاليد القومية والاجتماعية، وكان لها أيضا مراكز ومؤسسات شعبية منها المدارس، وهي بمستوى المدارس الابتدائية والزوايا وهي المراكز الدينية التي تعد الطلاب للالتحاق بالجامعات الإسلامية.

وقد حاول الاستعمار طمس هذه الثقافة وتبديل شخصيتها، كما حاول غزو عقول الجزائريين بثقافة وهي دخيلة عليهم ولا شك أن الاستعمار كان الأقوى، فاستطاع أن يحقق الكثير من أهدافه، ولم يبقى من معالم التراث سوى معلم الدين والقرآن.

فقد كان الدين الإسلامي محط نقمة المستعمر الذي قادته صليبيته إلى تحويل المساجد إلى كنائس وثكنات لجيشه، ولم يقف به التعصب عند هذا الحد، فلقد أراد وعمل على تجريد الشعب من عقيدته لكن هذه السياسية زادت الشعب الجزائري تمسكا وإيمانا بدينه، ولم يكن من الصعب إيجاد الدواء مادام ثمة رجال يغارون على هذا الدين.

وانطلاقا من هذه الخلفية الثقافية للجزائر يمكننا الحديث عن أهم قضية وهي **"قضية اللغة الوطنية أو قضية التعريب"**

عملت السياسة الاستعمارية منذ سيطرتها على بلدان شمال إفريقيا على غرس لغتها في النسيج الثقافي في هذه البلدان، ومثل جميع المجتمعات المغلوبة على أمرها، استجابت نسبة من المجتمع الجزائري لأدوات التهميش والاستلاب الحضاري، نظرا إلى أن كل المعاملات كانت تتم باللغة الفرنسية الرسمية وقد سعى كثير من حركات التحرر إلى مقاومة هذا الخطر حتى أنه ليمكن القول أن المقاومة المسلحة رغم أن أهدافها الأساسية سياسية واجتماعية فإن أبعادها العميقة ثقافية، لذلك مثل الدفاع عن الهوية الجزائرية وخصوصياتها التاريخية والحضارية جوهر الكفاح المسلح منذ تصدي الأمير "عبد القادر" لحملة لويس دي بورمون على الجزائر في

ثلاثينات القرن التاسع عشر واربعيبناته، مرور بمؤسس جمعية العلماء المسلمين 1931 عبد الحميد بن باديس الذي نادي بالتعريب[1].

فمن أخطر أسلحة الاستعمار تغريب الجزائريين عن اللغة العربية، ولا شك أن محاربة الاستعمار للغة العربية في الجزائر كانت خطوة خطيرة وفاشلة ساد بها تناقض غير طبيعي في الوضع، إذ فرضت اللغة الأجنبية الفرنسية واعتبرت اللغة العربية اللغة الثانية، وهكذا عاش الجزائريون خلال الاستعمار أزمتهم الكبرى مع لغتهم.

فقد تجلت محاولات إضعاف اللغة العربية وإبعاد مناخها عن الحياة الجزائرية في نشر التعليم بالفرنسية، وفي تشجيع الاتصال بالحضارة الأوربية بواسطة الكتب والصحف ثم بعد ذلك بواسطة السينما والراديو والتلفزيون[2].

وإصدار الحكومة الفرنسية قرار ثامن مارس من سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة وألف الذي يعتبر من أحط القرارات التي سنها وينص على منع تعليم اللغة العربية في أي مؤسسة كيفما كانت ما لم يكن المعلم قد حصل على رخصة من السلطات الاستعمارية في الجزائر، وكانت الغاية من إصدار هذا القرار الشنيع وقف التيار الجارف الذي أخذ يجتنب أوصال الاستعمار الفرنسي وذلك بفعل الوعي السياسي والبعث الثقافي، وبالرغم من أن هذا القرار طبق على من يعلم اللغة العربية أو يحفظ القرآن الكريم، فإن الهيئة التي كانت مقصودة به الذات هي جمعية العلماء المسلمين، والتي كانت أسست مدارس عربية كثيرة، كما كانت تبث أعوانها وأعضاءها في المساجد والنوادي ليرشدوا الشعب الجزائري ويوجهوه توجيها دينيا وطنيا إصلاحيا ثوريا[3].

وفي هذا الصدد نجد الإبراهيمي يقول بخصوص إصدار هذا القرار: ((كأن التعليم جريمة يترتب عليها العقاب ... بدأت دعوة المعلمين ترى ونحن نقدر أنها ستعم، وأن أول المطر قطر، وأن الأحكام ستكون بالغرامة، فالسجن ولكننا سنحل هذه المحاكم برؤوس مرفوعة وسنتلقى هذه الأحكام بنفوس مطمئنة بالإيمان

1- زهرة بوعلاق: الفترة البومدنيية 1965-1978 في بعض مؤلفات عبد الحميد بن هدوقة والطاهر وطار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم اللغة والأدب والحضارة العربية، جامعة تونس ، بحث لنيل شهادة الماجستير في الحضارة المعاصرة، 2005-2006، ص177.

2- نور سليمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص44،45.

3- عبد المالك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص119.

وحسبنا شرفا أن يكون ذلك في سبيل ديننا ولغتنا ... وحسب الاستعمار ديمقراطية أن يحاكم معلمي العربية والإسلام)) [1].

كما لا نغفل عن مساهمة الشعراء في هذا المجال غير قليلة، فقد كان كثير من الشعراء معلمين نذكر منهم "محمد العيد آل خليفة" والشاعرين الشهيدين "عبد الكريم العقون" و "الربيع بوشامة" ، فقد رفضوا الجمود وثاروا ضده ودعوا إلى اليقظة، والتبرع بالمال لبناء المزيد من المدارس والدعوة إلى العلم[2].

ولن ننكر أبدا الأثر الذي أحدثته التنظيمات الوطنية الأخرى فنجمة شمال إفريقيا منذ الإعلان عن برنامجها النضالي، عملت على تثبيت اللغة العربية وتكريسها في المدارس الخاصة وفي الشوارع، وقد ظهر ذلك واضحا في المادة الثامنة من البرنامج نفسه بحيث ركزت على ضرورة التعليم باللغة الفصحى ((التعليم الإجباري للغة العربية وحق كل الجزائريين في التعليم على جميع المستويات، فخلق مدارس عربية جديدة)) [3].

وهذا يعني أن هناك مسألة أساسية تزيد النجمة التأكيد عليها وهي أن اللغة العربية مبدأ أساسي في حياة الشعب الجزائري لا رجعة فيه.

فقضية "التعريب" ظلت تاريخيا مرتبطة بنضال الجماهير الكادحة التي كان وما يزال من مصلحتها أن تسترد الجزائر لغتها التي حاربها المستعمر وتحاول تسخير إمكاناتها المتاحة لتحسين وضعية التعليم في الجزائر، وتوجيهه بما يتفق مع طموحات البلاد.

فمحاربة "الشخصية" الجزائرية بكافة مميزاتها الذاتية والموضوعية بدأت منذ دخول الاستعمار الذي سخر وسائله الكولونيالية كلها لضرب اللغة وحدها، ومع ذلك فهناك منعطفات تاريخية ساعدت على بلورة اللغة العربية وتحسين وضعيتها وانتشارها بشكل واسع منها انتفاضة 1945، فهذه الفترة نفسها شهدت الحديث المتواصل عن الحاجة الماسة إلى القصة القصيرة ((من هنا أخذ الكتاب يطوعون اللغة للتعبير عن عواطفهم وأفكارهم بلغة فنية ظهرت في الإنتاج القصصي)) [4].

1- عمر بن قينة: شخصيات جزائرية، دار البعث، قسنطينة، ط1، 1983، ص50.
2- ينظر: الوناس شعباني: تطور الشعر الجزائري، ص30، 31.
3- واسيني الأعرج: إتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص45.
4- نفسه، ص48، 49.

فقضية اللغة العربية في الجزائر التي من أحسن ما كتب حولها، تلك المقالات الطويلة الرائعة التي دجبها الإبراهيمي ونشرها في جريدة البصائر الثانية التي تعتبر مرآة محلوة للأدب العربي والفكر الإسلامي في الجزائر فيما بعد الحرب العالمية الثانية، فقد كتب الشيخ زهاء عشر مقالات تحت عنوان واحد هو : "التعليم العربي والحكومة"[1]، فقد خضعت لعملية تطور مشوهة وكان الاستعمار على رأس ذلك، فمثلما حورب الشعب الجزائري كشعب طالب بكرامته وحريته، ،حوربت اللغة العربية كظاهرة اتصال وتواصل بين الناس مستهدفا إبادتها وفي ظل هذه الظروف كان لا بد أن تنمو أعمال أدبية خجولة ومحدودة جدا.

1- عبد المالك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص135.

إن القلم الجزائري لم يقف صامتا، بل حارب بكل قوة لاستنفاد قوة الشعب، ولاستقرار رعونة المستعمر الغاشم الذي لم يترك لحرية الشعب الجزائري وللكاتب سبيل، هذا الشعب الجزائري الذي عرف تأزم الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية.

فقد تبين لنا إلى أي مدى كان الشعر والنثر مرآة لهذه الأوضاع ولسانا صادقا أمينا للتعبير عن أحساس الشعب تجاه قضاياه الخاصة والعامة الداخلية والخارجية.

الفصل الثاني : الأبعاد الإنسانية في رواية "ريح الجنوب"

توطئة

أولا: مفهوم البعد الإنساني

ثانيا:علاقة النزعة الإنسانية بالأدب

ثالثا: تعدد الأبعاد في الرواية

توطئة:

تعد القيم أساسا في حركة الإنسان، فهي التي تزيد في فاعليته وتهديه إلى غايته وتقدم له أفضل المناهج أو الطرق لتحقيق غايته في الوجود أو رغباته الطبيعية، ومن خلال هذه القيم يحافظ الإنسان على إنسانيته، فهو مجموعة من القيم والمواقف قبل كل شيء.

فالقيم الإنسانية التي أصبح يعالجها المفكرون والفلاسفة. والأدباء هي علاقة الإنسان بأخيه الإنسان وتساؤل عن الحاضر واستشراف للمستقبل كل هذا من أجل وضع الإنسان في أحسن رواق لمكابدة العيش الكريم والحفاظ على مكانته كإنسان قبل كل شيء، وقد ساهم في تحويل هذه النظرة الكثير من العباقرة الإنسانيين مركزين على قيمة الوجود الإنساني، محاولين تقويم سلوكه وتهذيب وجدانه.

والنفس البشرية بطبيعة الحال تتسم بقيم تنعكس على سلوك الفرد، وهذه القيم تختلف من شخص لآخر وحسب البيئة التي تربى فيها فالصدق والأمانة والإخلاص والطبيعة... الخ سمات من أرقى ما يتصف به الإنسان، واحترام المجتمع له مرهون بهذه القيم التي يحملها والموجودة بين طياتها سعادة البشرية ورواية" ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة حافلة بمجموعة هذه القيم وهذا ما يجعلها ذات بعد إنساني وتدخل ضمن ما نسمية بالأدب الإنساني وذلك لأمرين اثنين:

أولا: لمعالجتها قضايا المجتمع فقد تناولت موضوعات مستمدة من الحياة اليومية للمجتمع الجزائري.

ثانيا: لاشتمالها على مجموعة كبيرة من القيم.

أولا- مفهوم البعد الإنساني:

إن كلمات من نوع الإنسان والإنساني والأنسنة وغيرها من اشتقاقات تتردد كثيرا في الخطابات الأدبية وقبل الشروع في ضبط هذا المفهوم كنت أتساءل مع نفسي ما هو البعد الإنساني ؟

وقبل أن أشرع في الإجابة على هذا السؤال لابد من الإشارة إلى أهميته، ذلك أن كثيرا من الخلط الفكري والتشويه يشوب الثقافة العربية الحديثة جراء غياب تعريفات دقيقة لمصطلحات حمالة لأوجه متعددة، من جهة أخرى فإن الإنسانية مصطلح مخادع فهو ككلمة مشتقة من الإنسان يحظى بمقبولية مسبقة لدى بني الإنسان، إذ كيف يمكن لأحد أن ينفيه دون أن ينفي نفسه، وهو ما سنتطرق للحديث عنه فيما بعد.

وإذا عرجنا للحديث عن البعد الإنساني فإننا نجده يتجلى في مذهبين: الرومانسية والواقعية أيضا.

"إلا أن الواقعين يناقضون الرومانسيين في الوسيلة ويلتقون معهم في الغاية، وهي سعادة البشرية، ولكنها لا تكون بالأحلام وإنما بمعايشة الواقع، وإشراك المجموع من أجل التغيير بأسرع صورة ممكنة لذلك رأى الواقعيون أن الأدب الذي يقف ضد الظلم والفقر والاضطهاد، والمتحدث عن الحروب وأسبابها وويلاتها هو الأدب الإنساني وما سواه فهو أحلام وهروب من الواقع، وعدم الرغبة في الدخول فيه لمعايشته ومحاوله إصلاحه"[1].

وما نفهمه من هذا التعريف أن البعد الإنساني يتجلى من خلال السعي إلى إسعاد البشرية بالتعبير عن قضاياه ومشاركة همومها وآمالها وآلامها والدعوة إلى التغير من الأسوء إلى الأحسن وعلى الرغم من النفحة الرومانسية في شعر الرابطين إلا أن انطلاقتهم كانت من واقعهم فقد تعايشوا معه، وشاركوا في قضاياه من هنا نرد أن زعم الواقعيين بأن الأدب الرومانسي بعيد عن الواقع.

1- فضل سالم العيسي: النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 2006، ص80 .

" وشعر الرابطين يفيض بخواطرهم، وآمالهم، وآلامهم، وأحلامهم في الحرية التي افتقدوها في بلادهم، والفضائل الإنسانية التي يجب أن تعم العالم، بحيث يشعر كل إنسان إزاء أخيه بما له من حقوق، وما عليه من واجبات، فلا غرب ولا شرق ولا استعمار، بل إخاء وسلام ومواساة، فلا حر ولا عبد، ولا شريف ولا مشروف ولاغني ولا فقير ولا مسلم ولا مسيحي..."[1]

وبذلك نلحظ أن الرابطين بعيدة عن أي تعصب عرقي أو لوني أو ديني، أو اجتماعي، أو حضاري وهذه رؤية شاملة جسدها شعرهم ومن هنا نلمس أن أدب الرابطين إنساني خالص، فيه منفعة لبني الإنسان في كل العصور والأماكن، وهذا يكسبه صفة الخلود والبقاء بقاء الروح توحيه.

وفي هذا الصدد نود الإشارة إلى تحديد مفهوم كلمة" الإنسانية" هذه الكلمة التي نجدها تتردد في الكثير من الكتابات النقدية والأدبية ومجالات الحياة اليوم حتى يتسنى للقارئ الفهم الجيد للبعد الإنساني لما تحويه هذه الكلمة من دلالات متنوعة. فإذا عرجنا إلى تحديد مفهومها صادفتنا تعريفات لا حصر لها لهذا الكائن المسمى بالإنسان.

أما" الإنسانية" من أسلافها إلى أعقابها، أسرة واحدة، لها نسب واحد والاه واحد أفضلها من عمل حسنا واتقى سيئا وصدق النية فيما أحسنه واتقاه[2].

قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) [3].

فتعدد الشعوب مدعاة لتعاونهم، واجتماعهم من أجل تحقيق رسالة الاستخلاف واستخراج ما في الأرض من كنوز، على قدر طاقة البشرية، وينجم عن ذلك سلسلة حضارات وتزداد الإنسانية معرفة بكنفها وكنه خالقها، وهكذا تتوحد الإنسانية في أفعالها، كما هو الحال في اسمها الوحيد" الإنسانية" .

1- المرجع السابق ، ص 80 .
2- نفسه، ص 72
3- سورة الحجرات، الآية 13 .

وتسمو بالإنسان حيث بسابق أخاه الإنسان لفعل الخيرات، وبهذا يقدم لنا القرآن الكريم هدية تجعلها يمن بها علينا، لأنه أعطانا فهما دقيقا للإنسان والإنسانية من وجهة نظري.

تتردد على الأفواه وفي كتابات النقاد كلمة (الإنسانية) غير محدودة الدلالة، ولا محصورة الفكرة فقد تدل على كل ما يقترن في أذهاننا من السمو بالحياة البشرية، وأن نجتاز كل العقبات التي تقف في طريقها، بحيث تعم في العالم وحدة إنسانية لا تكيفها حواجز من وطن أو جنس، ولا تحدها عصبيات من دين وغير دين.

وبذلك تصبح الإنسانية نزعة عالمية، يريد أصحابها أن تعم العالم كله روابط واحدة، فلا أبيض ولا أسود ولا شرقي ولا غربي، ولا مسلم ولا مسيحي، فالعالم كان يهدف إلى الإتحاد، كان أسرة، ثم كان قبيلة، ثم أصبح أمة، ولا بد أن تتلاصق وحداته، فتذوب كل عنصرية وتذوب كل عصبية، ويصبح الناس أخوة في نطاق واسع من الإنسانية، لا تحده غير السماء والأرض. [1]

ونفهم من هذا التعريف أن الإنسانية مطلقة، لا تعرف قوما ولا وطنا ولا جنسا ولا لونا. وذلك أنها تدعو إلى الإخاء والتعاون، إذ لا تعرف حدا ولا فاصلا.

وفي رأي أحمد أمين أن العالم اليوم أصبح"في حاجة إلى نبي جديد هو الإنسانية". وهذه المدنية يجب أن تنفذ روحها "إلى كل قلب حتى قلوب الساسة ورجال الحكم ورجال الحكم وأن يتجه الناس إلى رفع البؤس عن البائسين، وإعانة المصابين الضعفاء والمساكين من أفراد وأمم... والشعور العام بالأخوة التامة، من غير تفرقة بين جنس وجنس، ولون ولون، وإقليم وإقليم. ومحاربة القسوة والظلم حيث يكون ونصرة العدل حيث يكون"[2]

معنى هذا أن الإنسانية عالمية، لا تعترف بالقومية، بل بالناس جميعا والحياة هي قلب ينبض بالحب العام للإنسانية كلها، من غير اعتبار لطبقة، ولا لون ولا حسب ونسب، ولا غنى ولا جهل، ولا ثقافة... إن الإنسانية لا تعترف بالقومية ولكن تعترف بالناس جميعا.

1- شوقي ضيف: دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط10، ص58 .

2- ثريا عبد الفتاح ملحس: القيم الروحية في الشعر العربي قديمة وحديثة (حتى منتصف القرن العشرين 1950)، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر بيروت، ص 303.

فلو حوسب القوي على ظلمه، ونال الضعيف بعض حقوقه، لعم العالم الخير والسلام، وتلاشى الشر في كل مكان. وفي ذلك ينشد الشاعر:

آه لَوْ هَبَّ القويُّ علَى البغيْ * ونالَ الضعيفُ بعْضَ الحقُوقِ

لَفَحَتْنا للْخَيْرِ كُلَّ سَبيلٍ * وسَّودْنا في الشرِّ كُلَ طرَيقِ[1]

فالإنسانية كما يقول المنفلوطي:" تسير مع الإنسان حيث سار في بره وبحره، وسهله وحزنه، وحياته وموته، وتدور معه حيث دار، في إيمانه وكفره، وصلاحه وفساده واستقامته واعوجاجه، لا يتغير لونها، ولا يتحول ظلمها، وتستحيل ماديتها، ولا تبتلي جدتها على كر الليالي ومر الأيام، ويقول أيضا:" إن الإنسانية وحدة لا تكثر فيها ولا غيرية... هذه الفروق التي توحد بين الناس في آرائهم، ومذاهبهم، ومواطن إقامتهم، وألوان أجسادهم وأطوالهم، وأغراضهم، إنما هي اعتبارات ومصطلحات أو مصادفات واتفاقات، تعرض لجوهر الإنسانية بعد تكوينه".[2]

وبذلك تكون الإنسانية جوهر أزلي وروح خالدة لا يتغير تؤاخي وتسالم وهي الإخاء الذي يزيح بيده الشفيفة الشوك عن الزهرة المتروكة، ويرفع لها جدرانا تقيها ريح السموم الفتاك، لأن القلب الرفيق الخافق مع قلب الإنسانية الواجف هو اللين والرفق والسماح. ولذلك يرى جبران كل إنسان أخ له، لأن كليهما من روح واحدة، وكليهما يمشي على طريق واحدة وكليهما يبحث عن حقيقة واحدة فيقول: " أنت أخي وكلانا ابن روح واحدة قدوس كلي، وأنت مماثلي لأننا سجينا جسدين، جبلا من طينة واحدة، وأنت رفيقي على طريق الحياة، ومسعفي في إدراك كنه الحقيقة المستمرة وراء الغيوم، أنت إنسان وقد أحببتك وأحبك يا أخي".[3]

من هذا المفهوم ندرك أن الإنسانية مؤاخاة ومحبة وقوة حيث يرى الشاعر في الإنسان محبة وحنانا، ينتصران دوما على أقوى القوى، لأن الإنسانية تدك المظالم وتقوض العروش وتهدم الصخور.

وإذا طالعنا أقوال فلاسفتنا القدامى، فإننا نجد" الإنسانية" هي المعنى الكلي المجرد، الدال على ما تقوم به ماهية الإنسان. فهذا ابن سينا يقول: "مثل الإنسانية فإنها في نفسها حقيقة ما، وماهية، ليس

1- المرجع السابق ، ص 304.
2- نفسه، ص 306.
3- نفسه، ص 307.

إنها موجودة في الأعيان، أو موجودة في الأذهان مقومالها، بل مضافا إليها، ولو كان مقومالها، لأستحال أن يتمثل معناها في النفس، خاليا عما هو جزؤها المقوم".[1]

يرى ابن سينا هنا أن معنى الإنسانية يتجلى في الكلمة نفسها، فحقيقتها وماهيتها موجودة في كنهها والإنسان بطبيعة الحال هو جزء من هذه الحقيقة الموجودة في جميع أذهان الناس.

أما أبو حيان التوحيدي في مقابساته فيقول:" الإنسانية أفق، والإنسان متحرك إلى أفقه بالطبع ودائر على مركزه، إلا أنه مرموق بطبيعته، ملحوظ بأخلاق بهيمية، ومن رفع عصاه عن نفسه، وألقى حبله، وسيب هواه في مرعاه، ولم يضبط نفسه عما تدعو إليه بطبعه، وكان لين العريكة لأتباع الشهوات الردية، فقد خرج عن أفقه، وصار إلى أرذل من البهيمة لسوء إيثاره".[2]

فأي تعريف أوجز من هذا؟ الإنسانية أفق، الإنسان يرتفع في هذا الأفق عندما تسمو به أخلاقياته الحسنة، وينحط عند ما تسيطر عليه غرائزه وشهواته.

ومن خلال ما تقدم نجد أن كلمة الإنسانية واسعة الدلالة، ومن الممكن أن تفهم بمعان كثيرة، ولكن مهما تباينت الآراء، فهي لا تتعدى دلالتين كما يقول شوقي ضيف:" دلالة واقعية مطلقة، إذ يراد بها أن يصور صاحبها الإنسان بكل ما فيه من نقائص ومعايب، فهو إنساني النزعة، أي أن مساوئ الإنسانية ومحاسنها تتضح فيه وفي أدبه، بمعنى أنه لا يخفيها، بل يجليها في أتم معانيها، ودلالة أخرى تقابل هذه الدلالة وتناقضها، إذ تدل الكلمة على الإيمان بالإنسان وعقله إيمانا لا حد له، فالشخص الذي يؤمن بالملكات الإنسانية ولا يعتقد فيها وراء المنظور الملموس منها شخص إنساني النزعة لا يعتقد بقوى خارقة وراء عالمه الإنساني".[3]

هذا التعريف ربما يوحي لنا أن الدلالة الأولى خلاصة مفهوم الإنسانية عند العرب، بينما الدلالة الثانية خلاصة مفهوم الإنسانية عند الغرب، التي أعلت من قدرة العقل والإرادة الإنسانية على التغيير والتطور.

1- فضل سالم العيسى: النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، ص72.
2- نفسه، ص 73.
3- شوقي ضيف: دراسات في الشعر العربي المعاصر، ص 59، 60.

ونرى بذلك أن كلمة " الإنسانية شاسعة الدلالة، ولا يمكن حصرها في تعريف جامع مانع يضبط لنا ماهيتها ومع ذلك تبقى الإنسانية عاطفة سامية تربطنا بكل أفراد النوع الإنساني، وتغرس في قلوبنا الحنان على الجميع ولا فرق فيها بالجنسيات والأديان لأنها عاطفة الإنسانية فعندها الأبيض والأسود والعالم والجاهل والغني والفقير والذكر والأنثى سواء لأن الكل في الأول والأخير هم أبناء الإنسانية.

وكل عمل يرجع بالنفع على الناس فهو عمل إنساني نبيل يدخل ضمن مفهوم الإنسانية.

ثانيا- علاقة النزعة الإنسانية بالأدب:

ها قد وصلنا إلى علاقة الإنسانية بالآداب، وعلاقة الآداب بالإنسانية، أما عن علاقة الآداب بالإنسانية، " فإن الآداب والفنون تمتلك إنسانية عنيدة غير عادية في مقاومتها على حد تعبير بيري".

فدروس الأدب مثلا لا يمكن أن تقدم إلا أدب، وهذا أمر إنساني، فالأدب سوف يتحدث عن نفسه بصوت لن يغرقه كليا هدير الآلة الأكاديمية.

ويضيف إن مضمون الآداب والفنون مضمون إنساني أصيل، فهو يعرض الحياة بشكل ملموس مقدما نماذج قد تثير الإعجاب والاستنكار، قد تقلد أو ترفض، أنه يوسع مجال التجربة المباشر، وينقلها بشعور وإحساس. أنه يحرك الخيال، ويحطم قوالب العادات، ويعبر عن رؤى البشر، وأشواقهم المختلفة، ويوجد مختلف العناصر الثقافية في مجتمع ما، أو في عهد ما، ويجسد الجمال ويقدم نفسه كشيء يحمل غبطة مجردة، وأنه على أحسنه يبعث شعورا بالسمو الخلقي. [1]

إذن فالأدب أداة فاعلة في يد الأديب تسعى إلى تغيير الواقع عن طريق النقد الإيجابي الفعال الساعي إلى إذابة المشكلات الإنسانية، والسمو بالإنسان إلى إنسانيته.

أما عن علاقة الإنسان بالآداب، فنحن نلاحظ أن هذا المفهوم قد شاع عند أدبائنا منذ مطلع القرن الماضي، (وبات الشعراء والأدباء يلتفتون حولهم، ويعايشون مجتمعهم، والمجتمعات الإنسانية عامة، على اعتبار أن دائرة العالم باتت ضيقة، ومجال الاتصال بكل البيئات في كل بقاع الأرض صار ميسرا، وسريعا، بحيث أصبح الأديب تهزه الأحداث الجسام، في أماكن بعيدة عنه، وغريبة عليه، لغة

1- فضل سالم العيسى: النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، ص 77 .

وتاريخا ومجتمعا. ودينا ومن هنا تجسد المفهوم الحقيقي لمعنى الإنسانية، وترجمه الأدباء والشعراء في إبداعهم الفني). [1]

وهكذا وجدنا من يقول عن الأدب الإنساني أو بالضرورة عن إنسانية الأدب والأديب، يختص هذا النوع من الأدب في الانحياز نحو التعبير عن إنسانية الإنسان، ويساهم في فضح الانتهاكات والتجاوزات على القيم الإنسانية وبالتالي فإنه يصنف إلى جانب قوى الخير.

ويجد "سلامة موسى" أن الإنسانية في الأدب تعني مكافحة الظلم والجهل والفقر، والأديب الذي يتخذ هذا المذهب الإنساني تعود حياته أدب لأنه مكافح. وهذا الاصطفاف للأديب مع القيم الإنسانية، يؤدي إلى تعريض حياته إلى العديد من المشاكل ابتداء من الفقر وانتهاء بالتنكيل من قوى الشر التي تجد في هذا الاصطفاف خطورة تهدد مصالحها.

ويعبر عن ذلك برنارد شو بقوله: ألم يصبح الأدب كفاحا، والكفاح أدبا ؟ ويجد البعض أن اصطفاف الأديب إلى جانب القيم الإنسانية والعمل على الدفاع عنها، يعود إلى ضمير (الإنسان)، فكلما كان ضمير الأديب حيا كلما كان حرا في التعبير والدفاع عن قيم الخير.[2]

إن الأدب إذا هو التعبير عن الضمير الإنساني، والأديب هو ضمير العالم. فهناك من يجد أن الحرية الحقيقية التي يسعى إليها الأديب هي تعبير عن حرية الضمير، والأديب الذي يمنح ضميره إجازة في مرحلة من مراحل حياته، يفقد حريته وبذلك نجده يغير من اصطفافه لصالح قوى الشر.

ويجد" فولتير" أن حرية العقل وحرية العقيدة وحرية الضمير في أثمن ما يملكه البشر".[3]

وهنا تكمن عظمة الكاتب والمبدع والأديب الذي ينهل من القيم الإنسانية مادته ويصنع منها آليات وأسلحة مصادة ضد قوى الشر التي تسعى لفرض قيمتها على سائر البشر، وبهذا يعبر الأديب عن إنسانيته، وبالتالي عن حريته التي دونها يفقد آلياته في التعبير.

1- المرجع السابق ، ص78،77 .

2- نجم عبد الله كاظم: مقالات في النقد والأدب والظاهرة الأدبية، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، 2010، ص 57 .

3- نفسه، ص 57، 58.

ثالثا- تعدد الأبعاد في الرواية:

1/ الحب والحنان:

إن الحب عاطفة جميلة وراقية وقوية وهو ظاهرة إنسانية ورابط متين بين إنسان وإنسان، وهو أساس قيام العلاقات بين المجتمعات البشرية وبه يبتعد الإنسان عن الأنانية والحسد وكل الصفات الذميمة، فمن امتلأ قلبه بالمحبة نال محبة واحترام الجميع لأن الإنسان اجتماعي بطبيعته وحاجة ضرورية في حياته تكسبه الراحة والطمأنينة النفسية.

وهذه الصفة الحميدة والقيمة الإنسانية تتجلى في رواية " **ريح الجنوب**" لبن هدوقة وهو ما نلمسه في معاملة الأم خيرة لابنتها نفيسة في اليوم الذي كانت نفيسة محطمة نفسيا مما تشعر به من ضيق واختناق في قرية التي هي في نظرها عبارة عن منفى، وتذكرها أيضا لأيام الجامعة وراحت بذلك تحاور نفسها وتجادلها بين الحين والآخر.

حيث تقول: ((**كل الطلبة يفرحون بعطلهم أما أنا فعطلتي أقضيها في منفى.**

وقد كانت أمها في تلك اللحظة مقبلة تحمل بين يديها طبقا يشتمل على صحن صغير به فطائر وإبريق قهوة وفنجان وسكرية فتحت الباب فرأت نفيسة تبكي فقالت لها بدهشة وحنو:

نفيسة تبكين! تبكين ؟ مالك يا عزيزتي ؟

وضعت الطبق النحاسي فوق المنضدة واقتربت منها وهي تقول متسائلة:

مالك يا عزيزتي ؟ هل أنت مريضة)). [1]

ارتمت نفيسة على أمها وانهالت بالبكاء و لم تجد الأم ما تروح به إلا الدموع وأخذتا تبكيان وهما متعانقتين برهة من الوقت ثم قالت الأم وقد هدأت دموعها:

((ما بك يا نفيسة ؟ ما يبكيك قولي: ما يبكيك ؟

1- عبد الحميد بن هدوقة: ريح الجنوب، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2014، ص 09.

لعلك حلمت أحلاما فأزعجتك ؟ أنا كذلك أصبح حزينة في بعض الأحيان عندما أحلم أحلاما سيئة)). [1]

نلحظ من خلال هذه العبارات الصادرة عن الأم خيرة مدى اهتمامها وحيرتها عن الشيء الذي يسبب لابنتها كل هذا العناء والحزن ويجعلها تذرف الدموع. وبهذا أراد الكاتب أن يبين لنا مدى المحبة والحنان الذي تكنه الأم لابنتها وحرصها على بقائها سعيدة ومبتهجة فعاطفة الأم قوية ولا يمكن تعويضها أو استبدالها فهو حب صادق نابع من أعماق روحها بعفوية تامة ومن دون مقابل فهي تفرح لفرحها وتحزن لحزنها فكما رأينا في مشاركة الأم بالبكاء مع ابنتها نفسية فإنه يعتبر مظهر من مظاهر الحب والحنان الجياشتان وهي محبة الآباء للأبناء التي تصدر عن صدق وإيمان لغرض إدخال البهجة والسرور لقلوب أبنائهم، كما أن مخاطبتها بكلمة **" يا عزيزتي"** هي كلمة جمعت معاني الحب كله ومن العبارات التي توحي بمحبة الأم لابنتها من خلال الدعاء لها وتقديم النصائح في قولها: **((قومي... اغسلي وجهك واطردي عنك هذه الوساوس بنيتي... لو كنت تصلين يا نفيسة لما شعرت بهذا الضيق)).** [2]

من خلال هذه العبارة نرى نصح الأم لابنتها وهي نصيحة لا يقدمها إلى الأحباء لاحباءهم فقد أرادت التخفيف والترويج عنها من الضيق الذي تحس به والمساهمة في إعادة الابتسامة إلى شفتيها، فالصلاة تخفف عنها الهموم وترتاح بها النفوس.

كما نجد هذه المحبة بين مختلف فئات المجتمع الواحد وهو ما نجده يتجسد بصورة جميلة فيما قامت به عائلة ابن القاضي اتجاه العجوز رحمة صانعة الفخار فقد كانت مثالا يحتدي به في محبة الغير ويظهر لنا هذا المشهد من الرواية.

"في معاملة نفيسة للعجوز رحمة عند ما رأتها من بعيد مقبلة في تعثر تحمل فوق ظهرها قفة من حلفاء يشدها إلى صدرها حبل، فسرت لمقدمها ونادتها من النافذة: تعالي يا خالة، تعالي

1- عبد الحميد بن هدوقة: ريح الجنوب، ص 10.
2- الرواية، ص11.

وخرجت من حجرتها مسرعة لملاقاتها عند الباب الخارجي وبالمراح التقت بأمها فسألتها: ((**من هذه المنادية مع الصباح ؟**

فأجابتها بسرور:

خالتي رحمة خالتي رحمة)). [1]

يظهر لنا من خلال هذا المقطع الحب الشديد النابع من قلب الفتاة نفيسة والذي تجسد في حسن استقبالها للعجوز رحمة لروحها الطيبة وأخلاقها الحميدة، فالاحترام الذي أبدته لها صادر عن المحبة التي تكنها لها.

فالكاتب أراد أن يبين لنا من خلال هذه القيمة الإنسانية أن الإنسان لا يجد المتعة والراحة إلا في صحبة الآخرين والتعامل معهم والأخذ منهم ويأخذ بذلك مكانة جميلة في قلوب كل الناس فبالحب تتصافى القلوب وتتآزر وتتضامن وتتبع منها كل الأعمال الإنسانية. وكما نالت العجوز رحمة محبة نفيسة، نالت أيضا محبة وحنان سكان القرية لروحها الطيبة وبشاشتها، فكانت المحبة بذلك بين جميع الجيران والأهل والأحباب وخير مثال عائلة ابن القاضي على الرغم من هيبته وبصورة خاصة اتجاه العجوز رحمة لأنها بمثابة الأم وهي كبيرة القرية فضلا عن كونها وحيدة هذا ما بعث في نفوس اهل القرية هذه العاطفة الجميلة اتجاه العجوز.

2- التضامن:

جاء في تنزيل العزيز الحكيم ((وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ))[2] إن التعاون من العمليات الاجتماعية المهمة في استقرار حياة المجتمع وإرساء العلاقات بين الأفراد بشكل سليم، والعمل سويا لعنة تحقيق غايات مشتركة تعود على الناس بالنفع، وهو قيمة إنسانية بالغة الأهمية لكونها وسيلة ناجحة في التصدي لكل ما يدعو للظلم والضرر فالإنسان الذي يبتغي رضا الله تعالى ويسعى إليه فإنه يستجيب لهذا العمل الإنساني التطوعي الذي هو من السلوكات

1- الرواية، ص 14، 15.

2- سورة المائدة، من الآية 03.

التي يعم نفعها في المجتمع ولا يطالب بأدائه الأفراد بعينهم وإنما يطلب وجود الفعل من غير نظر إلى الفاعل.

وهذا ما نلمسه في الرواية حيث نجد أن جميع سكان القرية كانوا متعاونين ومتآزرين فيما بينهم سواء في الأفراح أو الأحزان ويتجسد هذا الموقف في مشاهدة ومواقف كثيرة من الرواية على سبيل المثال موقف سكان القرية عند سماعهم بخبر وفاة العجوز رحمة التي كانوا يكنون لها المحبة والوفاء فقد شرعوا مباشرة بعد تلقيهم الخبر إلى تضامنهم والعمل سويا بأتم التجهيزات الضرورية للقيام بالفدوة فقد تلقوا نبأ وفاتها بتألم وتأثر بالغين فقد كانت شخصيتها تتمثل في كل خيال نموذجا للمرآة العاملة، للأم الحنون، وكانت أوانيها لا تخلو من دار ((**فرآها السكان في صبيحة ذلك اليوم من خلال أوانيها حيث كانت كل آنية تتمثل لدى الناظر صورة خاصة للعجوز تثير حزنا شديدا وبذلك أحسن كل واحد منهم أن موت العجوز يعنيه قبل غيره وهكذا فقد اتحد الجميع للعمل كيد واحدة وهبوا نحو دارها نساءا ورجالا، منهم من يحمل دقيقا أو سمنا أو لبنا ومنهم من يقود شاه...**)) [1]

إن هذا الموقف يوحي لنا بأن سكان القرية يتحلون بمبدأ الأخوة والوفاء وذلك من أجل السعي إلى تحقيق المصالح العامة والخير المشترك. فقد بدأ ابن القاضي بمجرد سماعه بالوفاة بإصدار التعليمات الأولى إلى القهواجي ليبلغها إلى الناس.

وقال: ((**قل لرابح والطلحاوي أن يقوما بتحضير القبر أما السعيد ابن سعيد ابن العربي فليتوجه إلى القرية المركزية لشراء الكفن وإخبار من هناك من أهل قريتنا بالوفاة، وأنت أخبر الناس أن الدفن سيكون بعد صلاة الظهر، أما أنا وسي مالك فسنذهب إلى الدار لإعداد التجهيزات الضرورية، وأضاف مالك مخاطبا القهواجي ليبلغ كل سكان القرية بالوفاة لحضور تشييع الجنازة**)).[2]

1- الرواية، ص 200.

2- الرواية، ص 194، 195.

من خلال هذا المقطع نرى أن الموقف الذي قام به ابن القاضي موقف إنساني للقيام بالواجبات التي يستحقها الميت فرغم العيوب التي يحملها إلا أن هناك صفة نبيلة يتحلى بها وهي أنه رجل عمل وإقدام وللحب الذي يكنه للعجوز رحمة ولمزاحه الخاص وطبيعة شخصيته التي تأبى تأخير عمل اليوم إلى الغد فضلا عن إمكانياته المادية التي تسمح له بالقيام بهذه الأمور.

وبعد رفض مالك لمساعدة ابن القاضي لما كان بينهما من خلاف، وأن لا يشاركه في النفقات لأنه أراد أن يقوم بها رغبة في نفسه أصر ابن القاضي على قيام الفدوة في بيته حيث قال مخاطبا زوجته:

((لا بأس أنا سنأتي بالأواني والفراش وكل ما يحتاج إليه ونقيم الفدوة، لكن الذبيحة لا يمكن أن نشتريها والغنم موجود، أن أختار كبشا أو اثنين إذا لزم)).[1]

وهكذا أخذ جميع سكان القرية رجالا ونساءا كل واحد بعمله لاستقبال القادمين للتعزية فالنساء قمنا بعمليات التنظيف والغسل والطبخ والرجال أيضا قاموا بكل ما يلزم وما هو واجب للفدوة.

إن هذا التعاون الذي قام به الأهل والأحباب والأصدقاء الصغير والكبير اتجاه الفقيدة هو عمل إنساني نبيل وعظيم نابع عن المحبة والإخلاص وروح الجماعة التي جعلت منه عملا أخلاقيا ساميا، حيث عمل كل شخص على تقديم ما باستطاعته سواءا مساعدة أكانت مادية أو معنوية حتى الراعي رابح الذي لم يجد ما يقدمه في الفدوة إلا أن محبته هو الأخر لها واحترامه الذي كان يحمله لها جعله يساهم بجلب الحطب التي كانت مهنته الوحيدة ومورد رزقه وهو الشيء الوحيد الذي يستطيع أن يتصدق به.

ونجد هذا الموقف يتجسد في الرواية أيضا عندما قامت نفيسة بالفرار من البيت ومن صور تعاون أهل القرية مع ابن القاضي للبحث عن ابنته نفيسة لأن اختفاءها صار حديث العام والخاص وشغل القرية الشاغل **((فلم تمض الساعات الأولى حتى أخذ المقربون إليهم والأصدقاء يتواردون**

1- الرواية، ص 199.

عليهم رجالا ونساءا، فكان الرجال مع ابن القاضي يتشاورون في الطريق التي يجب إتباعها، وكانت النساء مع الأم يهون عليها هذا المصاب ويواسينها ويبكين معها أحيانا... وتقرر بعد تبادل طويل للآراء بين ابن القاضي ورفاقه أن يذهب للقرية المركزية فيخبر بالأمر من له النظر لأنه بالرغم من اتفاق الآراء حول الهروب فإن الشك مع ذلك لا يزال قائما... ولم يجد ابن القاضي مفرا من إخبار شيخ البلدية ورئيس مركز الجندرمة بالقضية)). [1]

وفي الأخير ومن خلال هذه المواقف التي أداها أهل القرية نقول أن التعاون كان من شيمهم، فالناس لا تستطيع أن تجتمع بدون تعاون والمرء لا يستطيع أن يعيش منعزلا عن مجتمعه لذا فالتعاون سمة ضرورية للحياة الإنسانية لأهميته في جلبه المنفعة ولدوره الكبير في إرضاء حاجات الفرد كالتقدير الأمن وحب الآخرين وتعزير علاقات الأخذ والعطاء والعمل معا.

كما أن الدين الإسلامي يدعو إلى الترابط وإقامة العلاقة بين الناس على المودة والتعاطف والتعاون، ليسود الصفاء وتتآلف القلوب، ويصبح المجتمع أسرة واحدة، متكاثفة متضامنة يشد بعضه بعض.

ومن العوامل المساعدة على تقوية هذا الترابط الاجتماعي الحرص على مراعاة وأداء حق الغير.

3- الإحسان إلى الغير:

إن الإحسان بما تحمله هذه الكلمة من صفات ومعاني الجامعة لكل أعمال الخير ابتغاء مرضاة الله وذلك بتصحيح الأخطاء وتصفية القلب من كل شر أو حسد فهو قيمة إنسانية حميدة ورفيعة وخصلة من أجمل الخصال يستطيع المرء بواسطته أن يحقق رغباته وطموحاته في الحياة ويحقق أيضا أهداف غيره سواء أكان ذلك بالقول أو العمل، فالإحسان يدعو إلى فعل الخيرات على أكمل وجه، وهو مطلوب في كل شيء. يقوم به الإنسان ويؤديه عن قناعة ورضى وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم: **" إن الله كتب الإحسان على كل شيء".**

1- الرواية، ص307.

فهو عمل إنساني يقوم به أصحاب القلوب الحنونة التي تحمل في نفسها حب الغير وله صور عدة منها الإحسان لمن أحسن إليك أو الإحسان لمن أساء إليك والإحسان إلى الوالدين والأقارب فعلى كل إنسان أن يكون رحيما في معاملته للغير ويبعث فيه روح الشعور بالسعادة والسرور وهذه القيمة الإنسانية نلمسها في الرواية وبكل صورها المختلفة.

ويتجسد ذلك مع الراعي رابح حيث نجده عندما كان راعيا لغنم ابن القاضي وخاصة في محاولته الخطيرة التي قام بها في أحد الليالي عندما اقتحم غرفة نفيسة وحاول الاعتداء عليها- والتي كان فيها ظالما لنفيسة- حيث قامت نفيسة بطرده من الغرفة ومعايرته **"أيها الراعي القذر"**[1] ومع ذلك وعلى الرغم مما تلقاه من كلام جارح وعبارات لاسعة تبعث في النفس الانحطاط والانهيار إلا أننا نجده في موقف يحسن إليها ويقوم بمساعدتها فهو يكون بهذا العمل يصحح ما ارتكبه من خطأ اتجاهها فرؤيته لها وهي مرتمية في الأرض جراء لسعة ثعبان وهي في طريقها إلى محطة القطار فرار من بيت والدها فقد تعامل معها برفق ولين

((... لما وصل للمكان اندهش لما يرى أن الرجل المرمي على الأرض امرأة متنكرة بين الحياة والموت فاقترب منها وقلبها على ظهرها ليتمكن من معرفتها ومعرفة ما بها فإذا هي نفيسة... الفتاة التي قالت له ذات يوم أيها الراعي القذر... إنها لدغت، وصار ساقها أسود، واسود جسمها ووجهها، هل يتركها في هذه الحالة لينتقم منها لنفسه ؟ ولكن الانتقام بهذه الصورة لم يرقه، وخصوصا وهو يعرف كيف يعالج الملدوغ ما دام على قيد الحياة، وأخرج بسرعة موساه فشق مكان اللدغ شقا خفيفا فسال منه دم كالقطران سودا ووضع فمه على الجرح وأخذ يمتص الدم المسموم... وأتي بالنبات المطلوب فلاكه ووصفه على الجرح ثم قطع اللحفة التي يشد بها رأسه فربطه بها وأتى بشنة الماء التي كانت معلقة على ظهر الحمار فنضح وجه الفتاة وإذا بها تفتح عينها فيفرح لذلك)). [2]

1- الرواية، ص 125.

2- الرواية، ص 290.

يكشف لنا هذا المشهد مدى طيبة ورقة قلب رابح الحنون التي كانت ترى فيه نفيسة من ألذ أعدائها فقد تصرف معها بحنو ورفق وبطلاقة وعفوية تامة ناسيا بذلك ما حدث في الماضي فقد أحسن إليها وقدم لها كل ما تحتاج إليه لتتعافى وتصحو من الإغماء وكان ناصحا أيضا فقد اقترح عليها بالعودة إلى المترل بعد أن علم بأنها عازمة على الفرار فخشي عليها وعلى سمعتها وسمعة والدها ومكانته الشريفة وهيبته ووقاره لدى سكان القرية كما أن كرامته وشهامته لا تسمح له بأن يخون ثقة ابن القاضي فيه الذي كان يأكل ويشرب من ملح بيته فعزم بذلك عدم الانتقام لها والسعي إلى تقديم كل ما بوسعه وكل ما تحتاجه نفيسة لتتعافى وتستعيد صحتها من جديد وذهبت إلى بيته وبقيت هناك حتى استعادت صحتها حيث لم تشعر بمرور الأيام التي قضتها هناك للرعاية والعناية التي تلقتها من ذوي القلوب الرحيمة فقد كان بذلك رابح أخا وأمه أما لها وهما يتعاونان في بساطة وعفوية رائعة وكانت صحتها قد عادت إليها وشفيت من المرض وكانا مسرورين وهي معهما وهو ما عبرت عنه في قولها متحدثة لأمه:**((إن كل ذلك يعود الفضل فيه إلى كرمكم))** [1]

وأضافت مؤكدة مرة أخرى قبل مغادرتها:**((إنني لن أنسى طول حياتي جميلكما))** [2]

فقد كانت هذه المواقف صورة حية ومرآة عاكسة عن إحسان وجميل أهل القرية لبعضهم البعض.

وهذا الموقف نفسه يتجسد في الرواية من خلال ما قام به **" رابح"** من عمل إنساني نبيل هو الاخر اتجاه العجوز رحمة جراء الذي حصل لها من سقوطها من أعلى التلة حيث تعامل معها برفق وحنية معاملة الولد لأمه، فعندما رآها مرتمية على الأرض خفق قلبه وبدون أن يفكر انحدر كالسهم... وناداها قائلا: **((عمتي رحمة))**. [3]

((فقام بوضع العجوز رحمة على ظهره وهي في حالة إغماء، رفع القفة الفارغة وكانت العجوز خفيفة كالقفص الفارغ... دخل البيت ووضع العجوز فوق حصير من حلفاء كان

1- الرواية، ص 308.
2- الرواية، ص310.
3- الرواية، ص 139.

مطروحا في مكان مقابل الباب ثم أخذ غطاء خشنا من صوف رآه معلقا في وتد بالحائط فطرح نصفه فوق الحصير وثنى نصفه الأخر في شكل وسادة، ووضع العجوز فوقها)). [1]

((ثم أخذ آنية من طين وخرج إلى المراح (فناء الدار) حيث قربة الماء معلقة في مكان ضليل... وضع ذراعه اليسرى تحت كتفي العجوز فرفعها قليلا وناولها الماء بيمناه. وسألها قائلا:

كيف تحسين نفسك الآن ؟

الحمد لله، رابح، أنت رابح.

نعم.

لن أنسى لك هذا أبدا

لا تفكري في كل هذا يا عمة، قولي ألست جائعة.

لا لست جائعة يا ولدي)). [2]

تظهر لنا من خلال هذه المعاملة الحسنة واللطيفة التي قام بها رابح اتجاه العجوز مدى إنسانية شخصيته وطيبة قلبه بطبيعته لأن هذا العمل الذي قام به عمل إنساني يخدم مصلحة الغير من دون مقابل، فالمؤمن الحقيقي هو الذي يحس بما يحس به غيره، ويعينه ويقف إلى جانبه إذا احتاج مساعدته لأن هذا من حق المسلم على المسلم وهذا ما تجسد في عمل رابح، " الذي سمح لنا الكاتب من خلاله تطبيق المفهوم الأخلاقي المعروف: العفو عند المقدرة.[3]

4- إكرام الضيف:

من الأخلاق الكريمة التي انتقلت سلف عن خلف في كل زمان ومكان هي سمة الجود والكرم، فهما خلقان محمودان من مكارم الأخلاق ومن الآداب المحمودة والواجبات التي ينبغي أن يؤديها

1- الرواية، ص 140.
2- الرواية، ص 142.
3- مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، ص 18.

الإنسان في حق الضيف وذلك بالتكريم والترحيب والاحترام والابتسامة التي تبعث في روح الزائر المقبولية والرضى فالكلمة الطيبة تعزز العلاقات بين الأفراد والجماعات وفي ذلك يقول " محمود العيد آل خليفة" في خاصة الكرم:

وأكرموا في الله سبحانه عباده يكرمكم بالثواب[1]

وما أراد أن يعبر عنه محمد العيد آل خليفة أن جزاء الإحسان الإحسان فمن أكرم الضيف وأحسن استقباله أكرمه الله بالثواب والمغفرة.

ونجد الكاتب بن هدوقة في هذه الرواية يصور لنا هذه القيمة الإنسانية بطريقة رائعة حيث بث فيها ملامح إكرام الضيف وحسن استقباله فهي لا تكاد تخلو من الرواية لأنها قيمة عظمى وهو ما نجده في كرامة خيرة وابنتها نفيسة في معاملتها للعجوز رحمة، فقد استقبلتها نفيسة بالابتسامة الحارة، حيث قبلتها بقبلات مليئة بالمحبة والود واحتضنتها بين ذراعيها فقد أكرمتها وأدخلتها البيت وبعدها **((أقبلت خيرة بالقهوة، وإذا رأتها العجوز فقالت: لماذا القهوة يا خيرة، لقد شربت... كل قهوة ولذتها، إنني أعددتها من قبل... لست أدري كيف تجدينها.**

فقالت العجوز:

أجدها لذيذة، لا شك في ذلك، فمتى كانت قهوتك غير طيبة.

وملأت فنجانا ناولته للعجوز وثانيا لنفيسة)) [2]

فلقد كانت اللمة التي جمعت ثلاثتهن خيرة ورحمة ونفيسة حميمية وعائلية تملئها البهجة والسرور، وهذا الموقف الذي قامت به الأم وابنتها يبين لنا أن الكرم كان من سماتهم وشيمهم حيث أن خيرة ونفيسة كانتا مسرورتين بضيفتهما وأحسنا استقبالها أحسن استقبال وذلك راجع لخفة روحها المرحة وفكاهيتها.

1- محمد العيد آل خليفة: الديوان، ص32.

2- الرواية، ص 18، 19.

وتتجسد هذه السمة النبيلة بصورة أوضح وأقرب عندما عادا ثلاثتهن إلى الدار بعد زيارتهم للمقبرة وتبادلهم للحديث فيما بينهم، فقد ظلت العجوز برهة من الوقت ثم بعد ذلك فكرت أن تنصرف ((**فوضعت يديها على الأرض لتستعين بهما على القيام، وقالت وهي منحنية: لقد انتصف النهار... أبقيكم على خير إنني ...فقاطعتها نفيسة قائلة في عتاب:**

مالك والنهار إن ينتصف أو ينصرف، والمتسوقين إن يعودوا بعد قليل أو بعد كثير.

وقالت خيرة تؤيدها ابنتها:

لن ندعك تذهبين إلا بعد الغداء)). [1]

تظهر لنا من خلال هذه العبارات المحاولة الجلية التي قامت بها الأم وابنتها لبقاء رحمة في البيت وتناول الغداء معهما لأنها لو غادرت المترل من دون تناول الغداء لكان بالنسبة إليهما أمر غير مرغوب فيه لأنهما لم يقوما بما يلزم القيام به اتجاه الضيف وعلى الرغم من أن العجوز رحمة أبت أن تبقى حيث قامت بشكر الأم وابنتها وأكدت لهما أنها لا تستطيع البقاء لتناول الغداء، لكن مع إصرار نفيسة لها على البقاء حيث قالت لها **((إن كنت تحبيننا فاقعدي معنا حتى الغداء))** [2]

فأبت العجوز أن تخيب ظنها فيها وبدا لها أن تشترط شرطا للبقاء وذلك بطلبها من نفيسة بإعداد الطعام بنفسها.

فردت نفيسة في ابتسام مع العجوز قائلة:

((أحسن الطبخ والخياطة والطرز وكل الشؤون المترلية يا خالة)). [3]

على الرغم من عدم قدرة نفيسة على الطبخ بالمستوى المطلوب إلا أن كرمها ومحبتها للعجوز جعلها تحاول بالشيء الذي تقدر عليه وهي الابتسامة المستمرة لها حتى تبدي لها رغبتها الشديدة في

1- الرواية، ص 35.
2- الرواية، ص 36.
3- الرواية، ص 37.

بقائها، فقامت خيرة بتحضير الطعام وقدمته لرحمة ونفيسة واكتملت اللمة بمشاركة خيرة لهم وأخذن يأكلن من الطعام الذي كان لذيذا ومناسبا لحرارة الطقس.

وبالتالي فصفة الكرم كانت صفة متداولة بين أبناء القرية خاصة عائلة ابن القاضي التي كانت لا تدع أي ضيف أو شخص أكان من قريب أم بعيد أن يخرج بيتها من دون أن تقوم العائلة بأتم الواجبات اللازمة.

وقد استطاع بن هدوقة أن يصور لنا ملامح إكرام الضيف في هذه الرواية في صور شتى ونجدها أيضا تتجلى لما زار مالك ابن القاضي استقبلوه بحفاوة، وطلبوا منه الجلوس، وقدموا له القهوة وكانوا مسرورين بتلك الزيارة كما دعوه إلى زيارتهم مرة أخرى.

وهناك نماذج كثيرة عن إكرام الضيف منها:

بمناسبة تدشين المقبرة كان ابن القاضي في تلك اليوم مسرورا وشديد النشاط لاستقبال ضيوفه وكل سكان القرية، كما أن سروره لايبدو وعلى وجهه فقط بل حتى على لسانه، قال مجيبا أحد أصدقائه الذي أبدى له إشفاقا مما ستكلفه هذه الوليمة من نفقات:

((وأي مناسبة أغلى من مناسبة الاحتفال بالشهداء؟ إن الثمن يهون أمام من ضحوا بالنفس، إنها فرصة العمر يا أخي، لأذبح اليوم كل غنمي، أليس للذبح خلقت))[1] كما كانت نفيسة مسرورة أيضا بادية الانشراح.

وهناك نموذج آخر أيضا: ما قدمت به العجوز رحمة من واجب اتجاه رابح حيث قامت بتحضير كل المعدات لإعداد الغداء لرابح وقالت له بابتسام كأنها تعتذر:

((لست أدري كيف ستكون هذه " الزميتة" أخشى أن لا تنضج كما ينبغي

فقال رابح: لما كلفت نفسك كل هذا من أجلي ؟

فردت قائلة: لم أكلف نفسي شيء يا بني)). [2]

1- الرواية، ص 65.

2- الرواية، ص 145، 146.

كانت العجوز رحمة على الرغم من وهنتها يبدو على ملامحها السرور لاستقبالها لرابح، فقد أراد الكاتب من خلال هذه المعاملات المتبادلة إبراز القدر الكبير الذي يتمتع به سكان القرية من طيبة وكرم وولائهم لبعضم البعض.

وبهذه الأعمال التي قام بها ابن القاضي توحي لنا أنه شخصية كريمة على خلاف ما يتراءى للقارئ **((فهو يقيم_ مثلا- مأدبة للجميع يوم إعادة دفن الشهداء وهو في هذا اليوم كان نشيطا كل النشاط فما أن حضروا حتى أسرع لاستقبالهم، وصحبهم لتدشين المقبرة، كما أنه يقيم " فدوة" العجوز رحمة عند وفاتها... الخ))**. [1]

ومن بين الصفات التي نلحظها في شخصيته أيضا صفة التواضع فهو بصفة عامة واحدة من سكان القرية، عادي جدا في تعامله مع الآخرين، لطيف جدا، لا يتكبر، ولا يغضب، عادي أيضا في حياته الخاصة، فهو أولا يعيش مع الآخرين في القرية لا يستعمل في ركوبه السيارة. مثلا. ولكن البغل والحصان، يبكر عند الفجر ليصلي، يلتقي مع سكان القرية في المقهى كما يبرز لنا تواصفه **((تعامله مع رابح الراعي- بغض النظر عن النهاية المأساوية للرواية التي تمثلت في مواجهة كل منهما للآخر رجلا لرجل- كان في غاية اللطف والهدوء، فقد ترك الراعي غنم ابن القاضي عندما أراد التخلي عن الرعي، فلم يرد ابن القاضي لومه لوما رقيقا وكان ذلك خلال جلسة حضرها مالك الذي يحترمه ابن القاضي... ولو ظاهريا غاية الاحترام. وفي هذه الجلسة حاول ابن القاضي إن يثني. الراعي عن عزمه، وأن يجعله**

-بمساعدة مالك- يعود إلى الراعي... ولكن رابح رفض رفضا قاطعا، فلم يرد ابن القاضي أن أذعن للأمر الواقع)) [2]

1- عمر بن قينة: الريف والثورة في الرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 28.

2- مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، ص 9، 10.

5- التسامح:

يعتبر التسامح أحد المبادئ الإنسانية وما نعنيه هنا هو مبدأ التسامح الإنساني الذي يعني نسيان الماضي المؤلم والتخلي عن رغباتنا في إيذاء الآخرين لأي سبب قد حدث في الماضي، وهو رغبة قوية في أن نفتح أعيننا لرؤية مزايا الناس بدلا من أن تحكم عليهم ونحاكمهم أو ندين أحد منهم.

فالتسامح ليس بالأمر السهل إلا لمن يصل إليه فيسعد فهو يبني العفو عند المقدرة، والسمو بالنفس البشرية إلى مرتبة أخلاقية عالية بما له من أهمية ودور في تحقيق وحدة وتضامن وتماسك المجتمعات والقضاء على الخلافات والصراعات بين الأفراد والجماعات.

فالمسامحة لا تكون فقط من أجل الآخرين، ولكن من أجل أنفسنا ولنتخلص من الأخطاء التي قمنا بها والإحساس بالخزي والذنب الذي لا زلنا نحتفظ به داخلنا وهو ما نلمسه في الرواية مع الراعي رابح عندما أنقذ نفيسة، ومع أبيها الذي كان مثالا حيا للتسامح **((عندما أتم عابد ابن القاضي صلاته التفت إلى الطريق الذي يسلكه رابح عادة فلم يره... ثم نظر إلى الكوخ مليا لعله يرى الراعي خارجا ولكن هذا كان قد خرج فعلم أنه إذا لم يأت في وقته المعتاد فلن يأتي.... ولعلى أبلغ مميزات عابد ابن القاضي سعة باله، وقدرته على السكوت.، فهو سواء كان راضيا أم ساخطا فلن يدع سخطه ولا رضاه يمس هدوءه واتزانه، كل من عمل يقدر فيه ذلك، فإذا تخلف الراعي يوما عن عمله فليس هناك ما يدعو لأن يقيم قيامة قد يكون تعب وقد يكون سهر فلم يفق من نومه. وقد يكون ركب رائسه لسبب أو لغير سبب فلم يأت....))** [1]

فمن خلال هذا المقطع نرى مدى سعة بال ابن القاضي وسماحته حيث لم يضطرب عن غياب رابح في ذلك اليوم بل تجده يلتمس الأعذار التي جعلته يتخلف عن موعد الرعي المعتاد فالتسامح بذلك تجده يقلل كثيرا من المشاكل التي تحدث بين الأقران والأحبة لسوء الظن وعدم التباس الأعذار حتى نفوسنا عظيمة كتلك النفوس صافية، شفافة لا تعرف الأحقاد لأنها تحوي سوى الحب والإخلاص تلك النفوس حقا هي التي تسحق أن نقدر وتحترم فهي تأسر القلوب بسرعة ولأول وهلة، لأنها صدقت مع الله ثم مع نفسها وبالتالي مع جميع الخلق.

1- الرواية، ص 129.

6- زيارة المريض:

إن دراسة التنظيم الاجتماعي للمجتمع الإنساني تدلنا على الأسس والروابط المتينة التي بنى الإسلام عليها العلاقات الاجتماعية والقيم الإنسانية الرفيعة التي كلها تصب في بناء هيكل اجتماعي وتنظيمه على أساس الحب والتعاون واحترام مشاعر الإنسان وتركيز مفهوم المشاركة الوجدانية والعاطفية وتوظيف مشاعر الرحمة واستمرار هذا السلوك يعكس لنا قيمة الحياة الاجتماعية ومن هذه السلوكات زيارة المريض التي تعد من الحقوق والمشاركات الوجدانية التي يؤديها كل مسلم نحو أخيه المسلم يعبر عن صدق الأخوة والمحبة والمودة للرفع من معنويات المريض والدعاء له بالشفاء ورواية ريح الجنوب لم تخلو من هذا البعد الإنساني الجميل ويتجسد:

عندما جاء عبد القادر وأخبر أمه بأن رحمة مريضة حيث سألته بدهشة وذعر: **((وجدتها مريضة في الفراش.**

أجاب عبد القادر في تأكيد: مريضة مرض كبيرا، هي وحدها مسكينة لا تجد حتى من يناولها شربة ماء

تألمت خيرة مما حكاه ابنها عن العجوز رحمة وقالت:

انقطاعها عنا هذه الأيام لم يكن إذن إلا لمرضها مسكينة

واستأنفت تسأل ابنها:

هل أوصتك بشيء، هل تستطيع الأكل ؟))[1]

إننا هنا نلحظ مدى حيرة وقلق خيرة على العجوز رحمة وأمرت ابنها عبد القادر بأن يذهب لأبيه ويخبره بحالة رحمة المزرية وقالت له: **((اذهب حالا إلى الدشرة فأخبر أباك، إنه بالمقهى، قل له:**

1- الرواية، ص 159.

أن العجوز رحمة مريضة مرضا شديدا وإنها تقول لك: ابعث إلى مالك شيخ البلدية ليأتي، وقل لأبيك يأتي... أجر)) [1]

إن هذا يعتبر عمل إنساني جليل يحمل معنى الخيرية والفضائل فزيارة المريض من الوصايا التي أوصانا بها الرسول صلى الله عليه وسلم، تساهم في تمتين العلاقات والروابط الاجتماعية بين الأفراد والجماعات، أراد الكاتب بث مدى التراحم الذي كان يربط سكان القرية فالسلوك الذي قامت به خيرة وابنتها اثر سماعهم لمرض رحمة حيث أخذتا مسرعتين للاطمئنان عليها ومعالجتها هو سلوك نابع عن الصدق والوفاء الذين يكنون لبعضهم البعض فهم دائمو الإحساس ببعضهم لقوله صلى الله عليه وسلم **" مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى". رواه الشيخان.**

فزيارة المريض تزرع في نفسه الإحساس بالحب للآخرين وتخفف الآلام عن نفسه وتشعره برعاية إخوانه وذويه ومجتمعه له، لذا نجد القران الكريم يؤكد على التعارف والتعاون والمواساة بين أفراد المجتمع وهذا ما تجسد في الرواية بشكل إنساني جميل:

لما عادت العجوز رحمة إلى الهذيان من جديد، فتحت عينيها ومدت يدها إلى مالك بذعر وهي تقول:

((الوادي، الوادي، إنه يسيل بالنار... جرف كل الأواني القديمة انظر يا مالك، إلى الأواني القديمة

فأجابها مالك بحزن :

هوني عليك يا خالة ليست أوانيك التي جرفها السيل.

التفتت العجوز إلى نفيسة وقالت:

نفيسة... بنيتي... أرأيت القمر ؟ إنه حزين... أحزنته الأواني التي أخذها الوادي...

1- الرواية، ص 160.

فقالت نفيسة مهدئة ومطمئنة:

كل الأواني هناك يا خالة، جمعتها أنا ثمة، تشجعي، إنها الحمى التي أخرقتك ولن تلبث أن تزول)) [1].

إن هذا المشهد يوضح لنا أن من بين الاهتمامات التي اعتنى بها الإسلام والتي تحلى به سكان القرية كما يتراءى لنا في هذا المقطع وهو إسماع المريض الكلمات الطيبة والدعاء له بالشفاء وحثه على الصبر وتشجيعه مما يشيع في نفسه عواطف المحبة والإحساس باهتمام الآخرين له فقد أدركت رحمة من خلال هذه الرعاية مدى المحبة التي يكنون لها أهل القرية حيث كانوا يتحلون بأرقى آداب اللياقة الاجتماعية واحترام الجانب النفسي في الإنسان.

7- المروءة والعفة:

العفة هي تنزيه النفس وضبطها على الانسياق وراء الشهوات والكف عن المحرمات فهي من أجمل الخصال وأكرم الأخلاق وأفضل الفضائل والتي حث عليها الإسلام لقوله تعالى: ((وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ)) [2] فبها ينال رضا الله ويفوز بثوابه وبها تتحقق مروءته ويتحقق بها المجتمع من الفساد.

وبطبيعة الحال فإن رواية ريح الجنوب لا تخلو من هذه القيمة الأخلاقية والإنسانية وهو ما نجده في عزة نفس ومروءة نفيسة:

((كانت نفسية نائمة نوما عميقا، لم يوقظها فتح الباب ولا غلقه ولا فتح النافذة، والواقع أن رابحا كان في حركاته حذرا إلى أقصى حد. لم تكن الغرفة مضيئة ولا مظلمة ولكنها كانت إلى الأظلام أقرب منها إلى النور، رأى رابح السرير الذي تنام فوقه نفيسة فاقترب منه فإذا هي عارية ... لأول مرة يرى فتاة عارية " كم هي جميلة كالشهد"...فاقترب من السرير حتى كاد يلتصق به، وضع يده على فمها فإذا هي تقفز مذعورة فقال لها بلطف:

1- الرواية، ص 181.

2- سورة النساء، من الآية، 06.

لا تخافي أنا رابح لا تخافي...

جذبت بأقصى ما استطاعت من سرعة غطاءها بيد ودفعته عنها بأخرى، وكانت من شدة البغتة أحست كأن صاعقة نزلت عليها وقالت في اختناق:

أخرج يا مجرم أحرج وإلا صرخت)) [1].

إن مخاطبة نفيسة لرابح بالمجرم والراعي القذر يوحي لنا بعفة نفيسة ومروءتها التي تتطلب منها الدفاع عن نفسها وصون شرفها لأنه من شرف عائلتها فبهذه الخصلة الحميدة تمنع ما يقع في المجتمع من زيغ وفساد وتجنب لكل الخصومات والمشاكل ولذلك فصيانة العرض والشرف وسيلة لمنع الوصول إلى الرذيلة وكل من يغضب الله وهي تولد في القلب نورا وانشراحا كبيرين.

8- بر الوالدين

من الطاعات والواجبات التي أوجبنا علينا الله عزوجل طاعة الوالدين والبر بهما، فهي من أعظم الأمور أجرا وهو عمل إنساني مهم في بناء الأسر والمجتمعات فهي من الأمور التي ينبغي أن يؤديها الأبناء اتجاه آبائهم قولا وعملا كأن يحسنوا إليهم ويطيعوهم ويقوموا بالحفاظ عليهم كيفما كانت حالتهم المادية والاجتماعية والمعنوية والابتعاد عن الإساءة إليها

ونجد ذلك في الرواية من خلال ما قامت به نفيسة عندما قرر ابن القاضي تزويجها من مالك حيث قالت لها أمها: **((أبوك يعتزم تزويجك، قالت ذلك ونظرت إلى وجه ابنتها تتأمله محاولة أن تعرف التأثير الذي أحدثته فيها تصريحها، لكن نفيسة لم تمكنها من ذلك، قامت بغضب واتجهت نحو حجرتها تاركة أمها تتمتم معاتبة لائمة...))** [2]

إن هذا الموقف الذي قامت به نفيسة وسكوتها عن والدها رغم هذا القرار الذي كان بمثابة ضربة قاضية في حياتها وحرمانها من الدراسة لم تتفوه بكلمة واحدة أو تقف في وجهه وتبدي له رفضها إنما عزمت البقاء في غرفتها، حتى لا تبدي لوالدها ما تحس به من غيض وغضب اتجاهه وهذا

1- الرواية، ص124،123.
2- الرواية، ص، 101.

يبدي لنا الاحترام والتقدير الذي تحمله لوالدها على الرغم من رفضها للقرار إلا أنه لم يكن في هذا الرفض سلوك يؤذي والدها وهو دليل على برها له فقد كانت دائما تنصح أمها وتقول له بأن تذكر والدها بحقوق الأبناء على الأولاد، لأن القرار الذي اتخذه لم يكن في صالح أحد منهم.

9- حفظ الأمانة:

تعتبر الأمانة خلق عظيم، وصفة حميدة، تقتضي قيام الإنسان بكل ما ائتمن عليه من أمور الدين والدنيا ومن ذلك حسن التعامل مع الناس والتخلق والسلوك القويم والتخلق والأخلاق والمحافظة على الوقت والوظيفة ورد الودائع فبهذه الأعمال يكتسب الإنسان محبة الناس ورضاها عنه.

ونجد هذه السمة والخصلة الحميدة في الرواية:

فقد كان رابح أمينا عند ما أخذ الرسالة إلى البريد عندما طلبت منه نفيسة أن يأخذها:

((اقترب رابح من النافذة في حذر فقالت له نفيسة:

رابح هل تستطيع أن تذهب إلى البريد ؟

لكن البريد بالقرية المركزية

تردد لحظات ثم قال: إن شئت أذهب غدا، هذا المساء أطلب من أحد الرعاة أن يرعى الغنم غدا مكاني، وأذهب عندي رسالة أريد إرسالها. وأود أن لا يعلم أحد بذلك.

وكيف تريدين أن يعلم بها ؟ أنا لا أقول لأحد.

هاهي الرسالة، احتفظ بها، ضعها بيدك في البريد إن الطابع ملصق عليها

كوني هنيئة، سأضعها بيدي... ولن يعلم بها أحد)) [1]

اننا نجد رابح من خلال هذا المقطع يطمئن نفيسة بأنه سيوصل أمانتها إلى المكان المطلوب وقد أوصلها حقا وبذلك كانت نفيسة راضية عن عمله النبيل وهو حفظه لرسالتها والدليل على ذلك أنه لم يعلم ما كان مكتوب في الرسالة و لم يطلع عليه حتى تصادف معها في الغابة وعلم بقرار هروبها وبهذا فالأمانة خلق إنساني وأساسي في حياتنا، وهي ضرورة من ضروريات الحياة.

1- الرواية، ص109،110.

10- الوفاء والإخلاص:

إن الوفاء والإخلاص من القيم الإنسانية الطاغية في الرواية لكونها تشمل على جميع القيم الفاضلة وكل ما يدعو للقيام بمختلف الواجبات اتجاه الآخرين كالتضامن وإعانة المحتاج وزيارة المريض وهما من الخصال الحميدة اللذين لا يصدران إلا من النفوس الشريفة وعن صدق ومحبة وهما أمران يقوم بها الإنسان اتجاه الأحياء والأموات وهذان البعدان الإنسانيان يتجليان في الرواية: فإذا بحثنا عن الإخلاص الذي يستطيع به المرء أن يحقق أهدافه ورغباته في الحياة نلمسه في:

العجوز رحمة وإخلاصها في عملها متفانية في إرضاء الناس فقد كانت تحسن الصقل الزخرفة والتطهير من دون غش أو تدليس ونجدها وهي تتبادل الحديث مع نفيسة تحثها على حب العمل والمثابرة على تعلم الصنعة قائلة لها:((**المثل يقول: تعلم صنعة وأخفيها، كل شيء نتعلمه مفيد، ما لا يفيد لا يوجد، أما الأواني فلا تشفي، كسريها عمدا إن شئت فأنا أصنع لك ما تريدين**)). [1]

إن هذا يبدي لنا مدى حب العجوز رحمة لعملها غير أن نفيسة لم تبالي بما تريد رحمة أن توصله لها، وطلبت منها أن تعلمها الحرفة بالكلام فقالت لذلك:((**بالكلام ... لو رأت عرقي يتصبب وأنا أرقم آنية أو أصقلها ...لو رأت ماذا ستصير إليه أتعابي وعرقي ... لو عرفت كل ذلك لأدركت أن التعلم بالكلام حلم من الأحلام**)). [2]

إن هذا يدل على إخلاص رحمة لمهنتها وحبها لإتقان عملها وإكماله على أحسن وأكمل وجه بغية إرضاء الناس من دون ضغط أحد عليها فهي بهذا العمل تجد نفسها سعيدة وإرضاءها للناس غايتها الوحيدة التي ترغب فيها وكما كانت مخلصة في عملها كانت مخلصة كذلك في قولها عند تبادل الحوار مع رابح عن أمه البكماء بعد تقديمه لأسئلة كثيرة عن أمه وزواجه من أبيه فأجابته بصدق ومحبة ((**لو أحدثك عن كل ما وقع في تلك السنة من مآس وزرايا لما كفتني أيام بلياليها... أمك يابني كانت من خيرة الفتيات جمالا ونباهة ونشاط...**)) [3] اجابة بإخلاص ومن دون نفاق أن

1- الرواية، ص39.
2- الرواية، ص 40.
3- الرواية، ص 150.

أمه على الرغم من بكمها كان والده يحبها وتحبه وهي حتى الآن لا تزال تحيا على ذكراه وهي مخلصة له حيث لم ترها يوما تضحك منذ وفاة زوجها فهي حزينة جدا على فقده وكانت من خيرة الفتيات جمالا كما أنها لم تلد بكماء إنما ريح التيفوس هو سببها.

ومن صور الإخلاص أيضا إخلاص **" عمي الحاج القهواجي"** فقد كان مخلص في خدمة الزبائن وذلك بالإبتسامة وحرصه على حسن نظافة المكان والأواني وطهي أجود أنواع القهوة وتقديمها لسكان القرية الذين كانوا يستبشرون المقهى بفرح لأن عمي الحاج يحسن معاملة الزبائن دون تميز في خدمة واحد عن الآخر

وكذلك إخلاص الراعي رابح عندما كان راعيا لغنم ابن القاضي حيث كان يأخذهم للأماكن التي يوجد بها العشب بكثرة فقد كان شديد الحرص عليم وكأنهم ملكه، فالإخلاص من صفات أهل القرية وهذه المشاهد نماذج حية عن إخلاصهم لبعضهم وذلك حتى يتحقق الرقي والتطور للقرية كلها.

كما كان سكان القرية مخلصين لبعضهم كانوا كذلك أوفياء ومن ذلك عائلة ابن القاضي التي كانت نعم الجيران للعجوز رحمة حيث قاموا بالواجبات اتجاهها على أكمل وجه وفاءا لها، فالوفاء هو رد الجميل لمن أحسن إليك وهو ما قام به مالك اتجاه رحمة يوم كانت تحتضر، فلم ينسى الجميل الذي قامت به يوم كان مجروحا في فترة الثورة **((هي نوبة حمى لا تلبث أن تزول، إن جراحك ليست بليغة كما قد تتخيل، إنك لن تخرج من بيت خالتك حتى تعود أقوى وأشد مما كنت، لقد أخذت احتياطي واشتريت ما يكفي من الحطب والقمح إلى نهاية الشتاء)).**[1]

لقد عنت رحمة بمالك عناية فائقة حتى استعاد صحته وتعافى وقد كان مالك وفيا لها وأعاد الجميل وكان بجانبها حتى أخذت الموت وجهها وأعطاها وجه لم تعرفه فكان السكان متخلقين بالأخلاق الرفيعة.

1- الرواية، ص 172.

وكما يكون الوفاء اتجاه الأحياء كذلك يكون اتجاه الأموات التي تستدعي القيام بمختلف الواجبات التي تتطلب زيارتهم، والدعاء لهم بالرحمة والمغفرة والصدقة عليهم وزيارة أقاربهم... الخ وتجسد في الرواية: وفاء سكان القرية لشهدائهم وتمجيدا لهم قاموا بحفل تدشين للمقبرة حيث اجتمع جميع سكان القرية ترحما على أرواح شهدائهم الذين ماتوا في سبيل عيش الآخرين أحسن حياة مليئة بنسيم الحرية ونعيمها وأصبحت القرية ((**تمتلئ نشاطا واحتفالا في ذلك اليوم ومن بين الذين كان لهم دور في القرية دار ابن القاضي، فكثير ممن لهم صلة بها من أقارب وفلاحين أصبحوا غادين رائحين حولها فهي التي ستستقبل الضيوف بعد تدشين المقبرة وليس الضيوف وحدهم الذين سيتناولون الطعام فيها، بل كل السكان الحاضرين فالعادة هي العادة**)). [1]

فمن عادتهم كل يوم جمعة تذهب النسوة إلى المقبرة ترحما على موتاهم ووفاء لهم وهو ما تجده في الراوية: ففي أحد الأيام جاءت العجوز رحمة إلى بيت خيرة قصد الذهاب معها إلى المقبرة استقبلتها نفيسة بحرارة وتناولا القهوة ثم سألتها خيرة قائلة:((**أنذهب يا خالة للمقبرة** ؟

نعم، ولذلك جئت، إن اليوم جمعة، لا بد من زيارة موتانا... واتجهت العجوز إلى قبر زوجها وذهبت خيرة وابنتها إلى قبر أمها)) [2].

فزيارة القبور والدعاء لهم والتصدق عليهم صورة من صور الوفاء كما فعلت العجوز رحمة حيث كانت وفية لزوجها وتداوم على زيارته كل جمعة بل حتى الصدقة عليه بالأواني التي تصنعها فهو الشيء الوحيد الذي تملكه.

وبهذه الأعمال الإنسانية المتبادلة بين أهل القرية يتبين لنا أن هدرقة أراد من خلالها توضيح وطرح بعض الجوانب الإنسانية والحميمية والجميلة التي تتحلى بها معظم شخصيات الرواية خاصة العجوز رحمة.

((فهي أولا امرأة مناضلة شاركت في الثورة التحريرية بجانب المجاهدين بتقديم خدماتها لهم ومن بين ذلك أنها- مثلا- ظلت تخدم مالكا في بيتها عندما جرح ثلاثة أشهر، وبالإضافة إلى إخلاصها

1- الرواية، ص 54.

2- الرواية، ص21، 23 .

لوطنها فإن العجوز رحمة مخلصة كل الإخلاص لزوجها الذي مازالت تزور قبره كل يوم جمعة منذ عشرين سنة، ثم أن الأواني التي تصنع وتبذل كل الجهد لأجل إتقان صنعتها موجودة في كل بيت من بيوت القرية)).[1]

لا بد أن الكاتب كان يريد عندما جمع كل هذه الأوصاف في العجوز رحمة أن يشير إلى أهمية دور المرأة الجزائرية التقليدية، وإلى مكانتها على الرغم من أميتها، فهي التي تمثل الأصالة الحقيقية للشعب الجزائري

- كما وأن سبق وأسلفنا فالأمر نفسه نجده عند معظم شخصيات الرواية:

الأمر نفسه يقوم به الراعي رابح الفقير إخلاصا ووفاء للعجوز عند وافاتها فلا يجد ما يقدمه لها سوى لحن جميل يعزفه على الناي.

- ومن صور الوفاء والإخلاص أيضا ما نجده في شخصية مالك: حيث يقدم الكاتب مالك في صورة ذلك الرجل الهادئ المخلص الجاد الإنساني المتأمل في واقعه الذي يشعر بثقل المسؤولية إلى أبعد الحدود، والوفي بعد ذلك لغيره.

((فمن بداية الرواية تطرح قضية زواجه من نفيسة الفتاه الجميلة المتعلمة، تطرح على لسان ابن القاضي، ويشيع موضوع هذا الزواج على كل الألسنة في القرية، إلا أن مالك على الرغم من إعجابه بنفيسة التي تشبه أختها التي كانت ذات يوم خطيبته، وعلى الرغم من المستقبل الجميل الذي كان من الممكن أن يتمنه لو عجل في الزواج من نفيسة، فإن مالك وانشغاله باستمرار بهموم البلدية ومشاكلها، ومشاكل الوطن بصفة عامة إلى درجة شعورنا بأن تفكيره كان أوسع من حجم هذه البلدية المرمية، برغم ذلك فإن مالك ينسى تماما موضوع زواجه وينسى التفكير في كل ما يتعلق بشؤونه الشخصية)).[2]

1- مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية ، ص 23.
2- نفسه، ص 20،21.

إن هذا الأمر الذي فعله مالك يوحي لنا بأمرين: أنه كان وفيا لخطيبته بعدم الزواج من بعدها مهما كان الثمن والموقف يتجسد في موضوع زواجه من نفيسة ورفضه لهذا الأمر، ومن جهة أخرى إخلاصه لوطنه باهتمامه بشؤون الغير على شؤونه الشخصية وهذا جانب إنساني فيه.

11- النصيحة:

من الأعمال الإنسانية التي تستحق الشكر والثناء وكل معاني التقدير هي صفة من صفات عباد الرحمان، تدعو إلى فعل الخيرات وترك ما هو منبوذ وما يدعو للرذائل والتوجه إلى ما هو أحسن وأفضل بها تقوى العلاقات بين الأفراد وبها يسلك الإنسان طريقه الصحيح ولا يدع بها مجالا للشكوك والظنون في أموره في مختلف مجالات الحياة. وإذا تتبعنا الرواية خطوة خطوة نجد سكان القرية كانوا لا يبخلون في تقديم النصائح لبعضهم وتوجيه أبنائهم والأخذ بعين الاعتبار ما يقوله الكبار لأنهم أكثر حكمة ومعرفة في الحياة ونلمسه يتجسد في الرواية فيما دار بين رحمة ورابح من حديث حول أمه ووالده ومرت بذهنه بعد ذلك عدة تساؤلات قام بطرحها على العجوز رحمة قائلا:

((كيف تزوج أبي بأمي وهي بكماء يا عمتي رحمة ؟

فأجابت العجوز بلهجة التأنيب:

هل البكم لاحق لهم في الحياة ؟ مالك يا رابح، إن البكم ليس عارا يابني، هناك أشخاص تفضل الصمم على سماع أحاديثهم. وبكم أمك لم يمنعها بأن تلدك)). [1]

إن هذا الكلام الطيب الذي يحمل الكثير من العبر جعله يرى في أمه البكماء أحسن وأجمل امرأة في الدنيا وأخذ وجودها يملأ وجوده وشعر بذلك أنه تمكن من معرفة ما كان بحاجتة وما يجهله عن والديه فالنصيحة إلى فعل الخير تعتبر من أنواع الأمر بالمعروف.

كما نجد نموذج آخر للنصيحة وهي ما قام به القهواجي مخففا ما يعاني منه مالك من حزن يائس وألم كبير لوفاة العجوز فقال مخففا عنه وناصحا: **((الأرض، يا بني أم للإنسان، والحياة كالسوق فإذا ما قضى الإنسان حاجته عاد إلى أمه، إن الموت يحزننا لأننا لا نفكر فيه، والعجوز**

1- الرواية، ص149، 150.

رحمة رحمها الله لو خيرت وهي حية بين الحياة والموت لاختارت الموت لأن الشيخوخة الطويلة عذاب يا ولدي)) [1].

قام القهواجي بالتخفيف عن مالك ونصحه بأن الموت هي أمر حتمي ينتهي إليه الإنسان وأن نهايتنا ستكون بطبيعة الحال إلى التراب فالتناصح والتواصي بالحق والصبر صفات لها أثر كبير في تقوية العلاقة بين الأفراد.

ومن صور النصيحة كذلك نجده عندما نصحت نفيسة العجوز رحمة بالتقليل من شرب القهوة **((قالت العجوز رحمة:**

أن أتعجب لمن لا يحب القهوة إني لولاها لما استطعت القيام ولا القعود

فنصحتها نفيسة قائلة:

إن الإكثار منها مضر يا خالة: لا تصلح لا للكبير ولا للصغير)) [2]

فالنصيحة تقديم ما ينفع الغير فنفيسة خوفا على صحة رحمة قامت بنصحها والإقلاع عن القهوة.

فبعد تتبعها لمسار الرواية ندرك جيدا مدى احتوائها على مجموعة كبيرة من القيم الإنسانية الفاضلة ولما يحمله هذا الرجل من رسائل تعليمية.

فقد احتوت الرواية على الأشياء التي لها قيمة في الحياة حيث تناولت الموضوعات الإيجابية واستبعدت كل ما يخالف ذلك من شر وظلم.

واحتوائها على هذه القيم التي يرى فيها الكاتب بعدا إنسانيا حيث يكتسبها الفرد من بيئته الاجتماعية، ويقيم منها موازين يبرز منها أفعاله ويتخذها هاديا ومرشدا جعل من هذا العمل الروائي ينطوي تحت ما نسميه بالأدب الإنساني.

فقد أدرك رجال الثقافة من مختلف المشارب والأفاق، البعد الإنساني العالمي الذي يمثله إبداع عبد الحميد بن هدوقة، المتأصل في عمق الأرض المحلية وتشهد على ذلك ترجمة أعماله إلى لغات عدة.

1- الرواية، ص 193.
2- الرواية، ص19.

الخاتمة

من خلال جولتي هذه في رحاب القيم الإنسانية لرواية ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة أخلص إلى القول:

- إن القلم الجزائري لم يقف صامتا، بل حارب بكل قوة لاستنفاذ قوة الشعب، ولاستفزاز رعونة المستعمر الغاشم الذي لم يترك لحرية الشعب الجزائري وللكاتب الجزائري سبيل هذا الشعب الجزائري الذي عرف تأزم الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية.

- فقد تبين لنا إلى أي مدى كان الشعر والنثر مرآة لهذه الأوضاع ولسانا صادقا أمينا للتعبير عن إحساس الشعب اتجاه قضاياه: الخاصة والعامة، الداخلية والخارجية.

- كما تبين لنا أن الرواية الجزائرية صورة للواقع المعيش فهي تحمل بين طياتها وبين سطورها آلام البشر وآمالهم ورواية "ريح الجنوب" تعد بصدق مرآة للمجتمع في تلك الفترة من تاريخ الجزائر المستقلة، كما أن كاتبها مثالي بامتياز، إذ حمل عمله رؤى فكرية وجمالية تجاه الواقع.

- كما أن معالجتنا لهذا الموضوع كشف لنا أن رواية ريح الجنوب قد رسمت لنفسها بعدا إنسانيا، وقد جسد لنا بن هدوقة -الإنساني الكبير- مجموعة كبيرة من القيم الإنسانية وأبرز لنا أبعادها كونها ضرورة من ضروريات الحياة لما لها من صلة عميقة بمختلف مجالات الحياة البشرية ومن هذه القيم: التسامح، التعاون، المحبة.. الخ وكل ما يشمل على فعل الخيرات اتجاه الآخرين أو اتجاه النفس والخالق عزوجل وهو ما يؤكد لنا نزعة الكاتب الإنسانية وما يجعل كل قارئ لأعماله يعترف بمكارم أخلاقه

وختاما آمل أن أكون قد وفقت في هذا العمل وقدمت شيئا إلى تجربة بن هدوقة الروائية وإلى الرواية العربية في الجزائر عموما.

فإن وقفت فمن الله وإن أخفقت فمن قصر نظري.

الملاحق

ملحق 01: ملخص الرواية:

تغطي أحداث الرواية **"لعبد الحميد بن هدوقة"** سبعة فصول، يبدأ فصلها الأول في سطره الأول بالعبارة التالية: (كانت ريح الجنوب قد سكتت منذ أن طلع أول شعاع للفجر مصافحا قمم الجبال ومحييا من بعيد واجهة من تراب القرية التي قضت ليلتها تلك تحت الغبار والدوي العنيف)[1] .

إنه مشهد الصباح في القرية بعد عاصفة من الريح، إنه صباح آخر يوم في الأسبوع (الجمعة) حيث تتوقف جل الأعمال في هذا اليوم بسب ذهاب الناس إلى السوق لقضاء أمورهم، في حين تذهب النسوة لزيارة المقبرة وهنا تظهر أول شخصية في الرواية هي شخصية ابن القاضي وابنه الصغير عبد القادر قرب الدار وهما يساعدان **"رابح الراعي"** على الخروج بالغنم من ممر ضيق، ثم وهما يستعدان للتسوق.

يذكر مشهد الغنم عابد ابن القاضي بتلك الإشاعات التي بدأت تروج منذ صدور القرارات المتعلقة بالتيسير الذاتي، حول الإصلاح الزراعي والتي صارت منشأ همه، وأزماته النفسية، بيد أن سرورا غامضا بعثته في نفسه فكرة تزويج ابنته **"نفيسة"** بمالك شيخ البلدية عن هذا الزواج.

ثم تظهر **"نفيسة"** التي استيقظت منذ مدة من الوقت ولكنها ظلت في فراشها وهي تحاور نفسها، وتكشف محاورة النفس هذه عن معاناة **"نفيسة"** نتيجة التضاد القائم بين عالمها في المدينة وعالمها اليوم في القرية.

وفي تلك اللحظة تقبل أمها عليها وهي تحمل إليها فطور الصباح، ثم تدخل معها في حوار يكشف فيه الكاتب عن التضاد القائم بينها وبين أمها من حيث نظرتهما إلى الحياة، ثم تقبل العجوز **"رحمة"** صانعة الفخار وتدخل معهم كذلك في حوار، تقوم الثلاثة بزيارة إلى المقبرة ويدخلن في حوار عن الموتى، والفخار مستعيدات ذكريات الماضي ليعدن بعد ذلك إلى القرية على أنغام ناي آتية من سفح الجبل المشرف على القرية.

وعند وصولهن إلى الدار تنصرف **نفيسة"** إلى غرفتها لتغيير ملابسها، تدخل العجوز **"رحمة"** والأم **"خيرة"** في حوار موضوعه **نفيسة"** وقضية زواجها من مالك.

[1] عبد الحميد بن هدوقة: ريح الجنوب، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2014، ص05.

وبينما هما في حوارهما إذا **"بنفيسة"** تدخل عليهما يكشف حديثهن عن الأشغال المترلية والطبخ وعن التعارض بين **"نفسية"** من جهة وأمها والعجوز **"رحمة"**من جهة أخرى، لينتهي الفصل الأول باجتماع الثلاثة على طاولة الغداء.

أما الفصل الثاني فيستلهمه الكاتب بمشهد لنشاط القرية وهي تستعد لاستقبال يوم مهم قلما شهدت مثله، يتمثل في تدشين مقبرة لأبنائهم الشهداء الذين سقطوا أيام حرب التحرير، تحضره شخصيات مهمة في القرى المجاورة وشيخ البلدية ومسؤول الحزب بالناحية.

ثم يدور حديث بين شاب وشيخ مسن عن الراعي **"رابح"** والأرض والفلاحة يكشف عن التعارض القائم بينهما وإن المقهى في مصدر المعلومات كلها عن أهل القرية، ويكشف لنا هذا الفصل أيضا عبر تذكر **"مالك"** الذي عاد بذكراته إلى صيف 1957 صورة **"زليخة"** خطيبته وحادث مقتلها، وكيف أن **"نفيسة"** صورة طبق الأصل لها: ((لو أن الزمان كالفيلم لكانت هذه الآن **"زليخة"** بدل أن تكون **"نفيسة"**))[1].

ويبدأ الفصل الثالث بالفقرة التالية: ((قالت **"خيرة"** وهي ترى القرية في لجة دكناء من الغبار والتراب لا شك أن الريح تكون أول نذير للناس يوم تقوم الساعة))[2].

ثم تقف على مشهد يجمع الأم **"خيرة"** بابنتها **"نفيسة"**، حيث تخبرها أن أباها قد قرر عدم عودتها إلى الجزائر بعد نهاية العطلة لأنه يعتزم تزويجها، حيث ترفض الفتاة **"نفيسة"** هذا القرار وهنا تعود مسرعة إلى أمها وتطلب منها أن تخبر والدها أنها لن تتزوج، ولن تنقطع عن دراستها، وأنها ستعود إلى الجزائر مهما كان الحال، فكانت وقع كلماتها على الأم شديد فأحست بأن الأرض تحت قدميها صارت دوامة، ثم يكشف حوارا بين ابن القاضي وزوجته **"خيرة"** عن موضوع زواج البنت الذي هو قرار منه لا رجعة فيه، لأنه سينفذ مهما كان الأمر .

وهتدي **"نفيسة"**بعد ذلك إلى وسيلة أجدى من الغضب والسخط وهي إعمال العقل والتماس الأسباب، فتقرر مكاتبة خالتها بالجزائر واطلاعها على ما يجري، ففعلت، ثم سلمت الرسالة من الراعي

[1] الرواية، ص74.
[2] الرواية، ص99.

"**رابح**" الذي ينتهي به الفصل، وهو يقول في نفسه بعد مقابلة الفتاة "**نفيسة**": ((هي تود شيئا آخر، وتتظاهر بإرسال الرسالة ظنتني غبيا لا أفهم ما تريدا المرأة هي المرأة سواء عاشت بالجزائر أم بالبادية ...))[1].

أما الفصل الرابع فهو يصور "**رابح" الراعي** وهو يحاور نفسه في أمر "**نفيسة**" متذكرا بيت ابن القاضي وجمال "**نفيسة**"، متحدثا عن مخاوفه وقلقه وتوتره النفسي نتيجة مما يجري في ذهنه من أفكار كثيرة تتعلق بالكيفية التي تمكنه من الوصول إلى غرفة "**نفيسة**" بيد أن الناي رفيقه المؤنس يبدد مخاوفه وحزنه وقلقه الغامض، حيث يأخذ نايه ويبدأ بعزف لحزنه بصوت منخفض.

وبعد ذلك يقدم لنا الكاتب مشهد "**لرابح**" وهو في طريقه إلى بيت "**نفيسة**" محاولا التسلل إلى غرفتها ومالاقاه من صعوبات فينجح في مهمته ويدخل غرفتها ليجدها نائمة نوما عميقا، وعندما يلامسها تنتفض مذعورة وتنعته بأبشع النعوت من أشدها وقفا على نفسه، وقالت في اختناق: ((أخرج من هنا أيها المجرم **!** أيها القذر أيها الراعي القذر))[2]، حيث يخرج من النافذة خائبا منهما عائد إلى كوخه الحقير الذي صار في نظره بعد هذه الحادثة أجمل دار وصارت أمه أجمل امرأة في الدنيا، وفي الصباح يذهب إلى المقهى "بنك المعلومات" حيث يلتقي بابن القاضي الذي لم يظهر عليه أي تأثر، ويجري الحديث مع أحد الأشخاص عن تركه الرعي إلى مشاكل العمل بصورة عامة، ثم يرى بعد ذلك العجوز "**رحمة**" ليجدها مرمية على الأرض فيحملها وهي مغمى عليها ويسعفها ويدخل معها في حوار طويل ويتذكر "**نفيسة**" وتمر بذهنه تساؤلات عن أصله، وكيف تزوج أبوه من أمه وهي بكماء، فتروي له العجوز تفصيلات عن ذلك وعن الماضي مفككة خبايا الرسوم والرموز التي وصفتها على أواني الفخار ودلالتها وينتهي بذلك الفصل بحوار بين "**رابح**" والعجوز "**رحمة**" حول موضوع تركه الرعي.

ويكشف الفصل الخامس عن مشاهد تتحدث عن العجوز "**رحمة**" وهي تعاني من مرض الوحدة والهذيان ومواساة عائلة ابن القاضي لها في ألمها ووحدتها وهي تحتضر، ثم حضور "**مالك**" لمواساة العجوز وتذكر أيام الثورة الطويلة التي قضاها جريحا في هذا المكان الذي ترقد فيه العجوز يوم كانت سليمة معافاة

[1] الرواية، ص112.
[2] الرواية، ص125.

حين كان هو جريحا مهموما، وانتهى الفصل بموت العجوز **"رحمة"** التي كانت تهذي بصنعها للفخار ((أنا لا أستطيع صنع الأواني ... لا أستطيع ... أني مريضة))[1]، وهذا يوحي لنا مدى حبها وإخلاصها لعملها.

أما الفصل السادس، في معظمه حول موضوع الحياة والموت والعمل وسوى ذلك من الأمور التي تتعلق بالدنيا والآخرة من وجهات نظر متباينة، حيث انقضت الليلة الأولى من وفاة **"رحمة"** كئيبة، وكانت فيها ريح الجنوب في عنقها مد مدمة رهيبة.

لا تبقي ولا تذر وانقضت الليلة الثانية كذلك، كما انقضت سابقتها في أحاديث بين الفلاحين وحفظة القرآن عن الآخرة وأهوالها وعن القيامة، وكذلك عن الحياة وشؤونها وما ينتظر الناس من مشاريع تقوم بها الحكومة في قريتهم الفقيرة. بيد أن الريح في الليلة الثالثة كانت قد سكنت واعتدل الجو وهبت أنسام البحري **"ريح الشمال"** فأزالت عن النفوس ما كانت تجده من ضيق فكان الرجال أكثر انشراحا، وانطلاقا وأشد إقبالا على الطعام في بيت ابن القاضي الذي أقام القرية ترحما على روح العجوز.

في الفصل السابع نجد أحاديث عن المرأة وهمومها وأوضاعها وآمالها، ويكشف موضوع زواج **"نفيسة"** ولكنه لسبب ما لا يرد المصارحة بذلك.

وتقرر **"نفيسة"** الهرب بعد أن عدلت عن فكرة الانتحار فتخطط لذلك وترسم خطة محكمة يكون يوم الجمعة فرصة مناسبة لتنفيذها، حيث يذهب جميع الرجال إلى السوق بينما تذهب النساء إلى المقبرة فيخلو الجو لها، فانطبقت في طريقها عبر الغابة لكنها لسوء حظها ظلت طريقها فيلدغها ثعبان ويأخذ الغثيان يعصر قلبها وتشاء الصدف أن ينقذها **"رابح"** الراعي الذي صار حطابا حيث يسعفها ويتفقان على العودة معها إلى بيته وتبقى في بيته تسعة أيام وبعد أن تمثلت للشفاء تنوي السفر في اليوم التالي إلى الجزائر ليلا، حتى يعلم أبوها بوجودها في بيت **"رابح"** فينطلق هناك في ثورة عارمة ليستل موسه (البوسعادي) ويصوبه نحو **"رابح"** معتزما ذبحه وذبح **"نفيسة"** وأم الرعي في حين تأخذ أم الرعي فأسا تهوى به على رأس ابن القاضي، فانفجرت الدماء من عنق ذاك، ومن رأس ذاك فأخذت أم رابح تسعف أباها وأنصرفت **"نفيسة"**تسعف أباها وانقلبت مشاريع **"نفيسة"** رأسا على عقب فحملت حقيبتها متجهة إلى بيت أبيها.

[1] الرواية، ص182.

وتنتهي الرواية بالعبارة التالية: ((وتحركت الريح وأخذ دويها يتصارخ مع جبال القرية ورباها، فإذا الأرض المهتزة تتلحف بلحاف من غبار ... غبار العتبلي))[1] .

[1] الرواية، ص317.

ملحق 02: حياة بن هدوقة وآثاره الأدبية.

1- حياته:

ولد **"عبد الحميد بن هدوقة"** في 09 جانفي 1925 بقرية **"الحمراء""بالمنصورة"** التابعة **لولاية برج بوعريريج"** في الشرق الجزائري، وهي تدخل ضمن المنطقة التاريخية المسماة بالقبائل والتي اشتهر سكانها الجبليون المنحدرين من أصول عربية وبربرية منذ القدم بتقاليدهم العريقة في حب الوطن والحرية.

وقد نشأ **"عبد الحميد بن هدوقة"** في أسرة فقيرة اشتهرت في المنطقة بالعلم والعلماء، فقد كان أبوه مدرسا في علوم اللغة والفقه، مما سهل عليه حفظ القرآن والحديث النبوي الشريف، وقد كان مولعا منذ صباه بقراءة الأساطير والسير الشعبية **"كألف ليلة وليلة" "سيرة عنترة" "سيف بن ذي يزن" "الزير سالم" "وبني هلال".**

دخل إحدى المدارس للتعليم باللغة الفرنسية، وبعدها انتقل إلى مدينة **"قسنطينة"** ليواصل تعليمه بجامع الكتانية، حيث عايش عن كثب نشاط جمعية العلماء المسلمين والحركة الوطنية، وفي سنة 1950 التحق بجامع الزيتونة بتونس وقضى هناك أربع سنوات في التحصيل العلمي، كما تابع في نفس الوقت دراسة في معهد الفن الدرامي والتمثيل بتونس[1] .

وبسبب ممارسته في حركة الثورة التي تسعى لدحر شوكة الاستعمار ونظرا لأعماله المختلفة لتحقيق مبتغاه وسعي كل جزائري، لوحق من طرف الشرطة الاستعمارية فهم بالفرار إلى فرنسا في نهاية 1955 قضى بها عامين تقريبا ذاق على إثرهما شتى أنواع الذل والحرمان وبعد مرضه الذي ألزمه الفراش نصحه الأطباء بتغيير مجال علمه، فاتحة الميدان الفن الدرامي أين كتب مسرحيات باللغة العامية هذا العمل كان بمثابة البداية الفعلية لنشاطه الفني الإبداعي كما كان شغوفا بمطالعة آداب القرن التاسع عشر خاصة الأدب الفرنسي والأدب الروسي الذي أعجب به.

[1] عبد العزيز بوباكير: بن هدوقة معالم على درب الإبداع، دراسات حول عبد الحميد بن هدوقة من جمع وتقديم جيلالي خلاص، الملتقى الوطني الأول أدب بن هدوقة، برج بوعريرج، مطبعة دحلب، الجزائر، 1997، ص09.

وفي سنة 1958 رحل إلى تونس أين عمل بالصحافة ومجال التأليف وهذه السنة صدر له أول كتاب، وفي سنة 1962 أي سنة الاستقلال عاد إلى وطنه مشمر على ساعديه لإعادة إحياء الثقافة الجزائرية ومحاولة الحفاظ عليها وتقديمها للأجيال الصاعدة حيث كتب عدة مسرحيات موجهة للإذاعة، وفي بداية السبعينات تخصص بالمجال، أين أصبح يعرف به، وفي 1990 مارس **"بن هدوقة"** ينتخب أمينا عاما مساعدا لاتحاد الكتاب، وفي أكتوبر من نفس السنة يعين رئيسا للمجلس الوطني للثقافة وفي سنة 1992 يعين نائب رئيس للمجلس الاستشاري الوطني وفي سنة 1993 يستقيل من هذا المنصب، وقد توفي **"عبد الحميد بن هدوقة"** في 21 أكتوبر 1996 تاركا وراءه مجموعة من الأعمال الأدبية[1].

يجمع اغلب النقاد على أنه كان من أوائل المؤسسين للرواية العربية في الجزائر، فلم يكن يكتب كي يرضي أو بدافع أن يستجيب لرغبات سياسية متفاوتة في التفاؤل بقدر ما كان يكتب عن الأوضاع الجزائرية سابحا في أعماقها، وما يميزه عن الآخرين هو صفة "الملاحظ" و "المحلل" و "المتنبئ" وبالتالي يكتب ما يعايشه ويراه بشكل أو بآخر حتى يكون مرآة للواقع[2].

وقال **"مارسيل بوا"** وهو مترجم أعمال **"ابن هدوقة"** للفرنسية وكان ملازما له حتى رحيله بالمرض الخبيث وبين لنا بعض الجوانب غير المعروفة إنسانيا وابراعيا مما طبع بحثه بالدفء والحميمية، فذكر **"مارسيل بوا"** عندما غادرنا **"عبد الحميد بن هدوقة"** في أكتوبر 1996 وصفته أجهزة الإعلام بـــــــــ **" القصصي الماهر" و"صاحب الرؤيا" و "الإنساني الكبير"** أما بالنسبة إلى أنا الذي تشرفت بترجمة أعماله وسعدت بصداقته فإنه سيبقى دوما ذلك الرجل العادل الكريم الصريح الذي يعترف بمكارم أخلاقه لحل من قرأ له وعاشره.

[1] المرجع السابق، ص12.

[2] الطيب ولد العروسي: أعلام من الأدب الجزائري الحديث، ص155، 156.

2- أعماله الأدبية:

لعبد الحميد بن هدوقة إرث إبداعي ضخم، وقد صدرت له أعمال أدبية متنوعة منها:

أ/ في الرواية:

ريح الجنوب 1971.

نهاية الأمس 1975.

بان الصبح 1980.

الجازية والدراويش 1983.

ب/ في القصة: له ثلاث مجموعات قصصية

ظلال جزائرية 1960.

الأشعة السبعة 1962، وقصص أخرى في 1974.

ج/ في قصيدة النثر:

له ديوان الشعر الحر بعنوان "الأرواح الشاغرة" الذي نشر سنة 1967.

بالإضافة إلى قصص واشعر أخرى لم تنش في كتب خاصة وكانت قد نشرت في الصحف والمجلات الجزائرية والتونسية واللبنانية وفي الدول العربية الأخرى وأكثر من مائتي تمثيلية ومسرحية قد كتبها للإذاعة والتلفيزيون بين 1957 إلى 1974.

رغم أن النتاج الصناعي على الساحة الأدبية في الجزائر كان مكتوبا باللغة الفرنسية فلقد جاءت كتابات عبد الحميد بن هدوقة تدعيما وتطويرا أو مشاركة في تبعيث إحدى القيم والثوابت الوطنية ألا وهي اللغة العربية التي عانت الكثير إبان الاحتلال الفرنسي وحتى بعد الاستقلال.

وقد ترجمت أعماله الأدبية إلى عدة لغات ومن أهمها: "ريح الجنوب" التي ترجمت إلى الفرنسية والألمانية، والهولندية والأسبانية والبولونية والصينية والصربية والسلوفية.

أما "بان الصبح" ترجمت إلى الفرنسية والألمانية والروسية.

"نهاية الأمس" ترجمت إلى الفرنسية والهولندية والصربية.

"الجازية والدراويش" ترجمت إلى الفرنسية والصينية والروسية أيضا[1] .

[1] جيلالي خلاص: عبد الحميد بن هدوقة معالم على درب الإبداع، ص15.

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم

أ- المصادر:

عبد الحميد بن هدوقة: ريح الجنوب، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2014.

ب- المراجع:

1- ابوالقاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب ، الجزائر،ط5، 2007.

2- أحمد بيوض: المسرح نشأته وتطوره ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر، 2009.

3- أحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1996.

4- إدريس بودية: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار ، دراسة نقدية ، قسنطينة، ط1، 2006.

5- ثريا عبد الفتاح ملحس: القسم الروحية في الشعر العربي قديمه وحديثه (حتى منتصف القرن العشرين1950) ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت.

6- حميد لحميداني: الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، دار الثقافة ، الدار البيضاء، المغرب ،ط1، 1985.

7- سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المعاصر ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت، لبنان، 1967.

8- سعيد الورقي: اتجاهات الرواية العربية ، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997.

9- شريبط أحمد شريبط: تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر،2009.

10- صالح مفقودة: أبحاث في الرواية العربية ، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب العربي، جامعة بسكرة .

11- صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية ، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع ، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ط2، 2009.

12- الطيب ولد العروسي: أعلام من الأدب الجزائري الحديث، دار الحكمة للنشر ، الجزائر، 2009.

13- عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي (1925-1967)، تر:محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

14- عبد جاسم الساعدي: الشعر الوطني الجزائري بين حركة الإصلاح والثورة، منشورات التيبين الجاحظية ، الجزائر ، 2002.

15- عبد العزيز شرف: المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل ، بيروت، لبنان.

16- عبد الله حمادي: أصوات من الأدب الجزائري، منشورات جامعة منتوري ، قسنطينة، 2000.

17- عبد الله الركيبي: دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي ، الجزائر.

18- عبد الله الركيبي: فلسطين في الأدب الجزائري الحديث ، دار الكتاب العربي ، الجزائر.

19- عبد الله الركيبي: الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

20- عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

21- عبد المالك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر1931- 1954، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1983.

22- عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، 1990.

23- عزيزة مريدن: القصة والرواية ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1971.

24- عمر بن قينة: الريف والثورة في الرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر.

25- عمر بن قينة: شخصيات جزائرية، دار البعث ، قسنطينة، ط1، 1983.

26- عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث (تاريخا ، أنواعا وقضايا وأعلاما)، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، ط5، 1995.

27- فصل سالم العيسى: النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006.

28- محمد السعيد الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، المطبعة التونسية ، تونس، ط1،ع57، 1926.

29- محمد العيد آل خليفة: الديوان ، دار الهدى ، الجزائر، 2010.

30- محمد كامل الخطيب: الرواية والواقع، دار الحداثة ، بيروت، ط1، 1981.

31- محمد مصايف: النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1983.

32- محمد مصايف الرواية العربية الجزائرية بين الواقعية والالتزام، الدار العربية للكتاب، الجزائر ، 1983.

33- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925- 1975، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1 ،1985.

34- مخلوف عامر: الرواية والتحولات في الجزائر (دراسة نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000.

35- مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصبة للنشر ، الجزائر.

36- نجم عبد اله كاظم: مقالات في النقد والأدب والظاهرة الأدبية، عالم الكتب الحديث، أربد ، الأردن، 2010.

37- نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار الأصالة للنشر والتوزيع ، الجزائر،ط1، 2009.

38- الوناس شعباني: تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945- 1980، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر.

39- واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر (بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1986.

ج- المعاجم:

1- إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية ، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفاقس، الجمهورية التونسيةـــ، 1988،ع1.

2- ابن منظور: لسان العرب ، تح: عامر أحمد حيدر ،ج14 ،بيروت، ط1، 2003.

3- سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيوت، ط1، 1985.

د- المجلات والجرائد:

1- مجلة الآداب والعلوم الانسانية، ع4، أكتوبر،2004.

2- مجلة فصول : ع2، 1982.

3- مجلة المخبر: أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ع2، جامعة بسكرة، 2005.

4- جريدة البصائر: ع35، دار الغرب الاسلامي، 1 ماي 1948.

هـ- الملتقيات:

أعمال وبحوث الملتقى الأول عبد الحميد بن هدوقة، مطبعة دحلب، الجزائر، 1997.

و- الرسائل الجامعية:

زهرة بوعلاق: الفترة البومدينية (1965- 1978) في بعض مؤلفات عبد الحميد بن هدوقة والطاهر وطار، بحث لنيل شهادة الماجستير، جامعة تونس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم اللغة والآداب والحضارة العربية، 2005، 2006.

فهرس

الموضوعات

الموضوع	الصفحة
شكر وتقدير	
مقدمة.....	أ-ج
مدخل: إلى الرواية الجزائرية	
1- مفهوم الرواية	5
أ- لغة	5
ب- اصطلاحا.....	5
2- نشأة الرواية الجزائرية وتطورها.....	8
3- عوامل تأخرها.....	13
الفصل الأول : قضايا الأدب الجزائري	
تمهيد	17
أولا :القضايا السياسية.....	18
ثانيا: القضايا الاجتماعية.....	32
ثالثا: القضايا الثقافية.....	39
خاتمة	43
الفصل الثاني : الأبعاد الإنسانية في رواية "ريح الجنوب"	
توطئة	45
أولا: مفهوم البعد الإنساني	46
ثانيا:علاقة النزعة الإنسانية بالأدب.....	51
ثالثا: تعدد الأبعاد في الرواية	53
الخاتمة	79
الملحق	81
قائمة المصادر المراجع	90
فهرس الموضوعات	95

ملخص

ملخص

لقد جاء هذا البحث تحت عنوان القيم الإنسانية في رواية "ريح الجنوب" "لعبد الحميد بن هدوقة" .

وقد اخترت "عبد الحميد بن هدوقة" لما يحمل هذا الرجل من رسائل تعليمية وقيم إنسانية في مجموعة كتاباته.

حيث جاء هذا البحث تحت مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة وأخير الملاحق .

تناولت في المدخل بعض النقاط المتعلقة بالرواية الجزائرية معتمدة فيه على ثلاث عناصر احتضن العنصر الأول مفهوم الرواية في اللغة والاصطلاح ، أما الثاني تناول نشأة الرواية الجزائرية وتطورها والعنصر الأخير اختص بعوامل تأخرها.

أما الفصل الأول أثرت فيه مجموعة من قضايا الأدب الجزائري فجاء تحت عنوان قضايا الأدب الجزائري ، فتناول القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية ، في حين خصصت الفصل الثاني من البحث لرصد الأبعاد الإنسانية في رواية "ريح الجنوب" تناولت فيه مفهوم البعد الإنساني ، كما أشرت إلى علاقة النزعة الإنسانية للأدب وأخيرا تطرقت إلى أهم الأبعاد التي وردت في الرواية .

لأنتهي في الأخير بخاتمة هذا البحث الذي لا أدعي بكماله ودقته وشموليته ، وإنما هو محاولة فحسب أما الملاحق فقد تضمنت الأول ملخص الرواية والثاني تعلق بحياة بن هدوقة وآثاره الأدبية.

Résumé :

Cette thèse s'est présentée sous le titre « ***Les valeurs humaines*** *» dans le roman «* ***Le vent du Sud*** *» de* ***Abdelhamid Ben HADOUGA***.

Et j'ai choisi Abdelhamid Ben HADOUGA pour ce que cet homme rapporte comme messages éducatifs et valeurs humaines dans l'ensembles de ses écrits .

Cette étude comporte : une introduction, un préambule, deux chapitres, une conclusion et enfin des informations supplémentaires .

J'ai traité dans l'introduction quelques points relatifs au roman algérien en se basant sur trois éléments : Le premier comporte le concept du roman dans la langue et la terminologie , le second a traité le roman algérien et son évolution et le dernier élément s'est consacré aux facteurs de son retard .

Le premier chapitre, il a été affecté par un ensemble de questions concernant la littérature algérienne intitulées « Les questions de la littérature algérienne », il a abordé les questions politiques, sociales et culturelles. Alors que le deuxième chapitre a été consacré aux dimensions humanitaires dans le roman « ***Le vent du Sud*** *» où j'ai abordé le concept de la dimension humaine, j'ai soulevé aussi la relation de l'humanisme dans la littérature. Finalement, j'ai touché les dimensions essentielles qui ont paru dans le roman pour en finir par une conclusion que je ne prétend pas qu'elle est parfaite, précise et exhaustive mais c'est juste un essai. Pour les informations supplémentaires, la première comporte le résumé du roman et la seconde concernant la vie de Ben HADOUGA et ses impacts littéraires.*

تم بحمد الله